الفصل الثانى

مظاهر تقدم العلوم الأساسية
فى مدينة غزنة

أولًا: علوم القرآن الكريم

- علم القراءات
- علم التفسير

ثانيًا : علم الحديث

ثالثًا : علم الفقه وأصوله

رابعًا: التصوف

obeikandl.com

خامسًا: علم الكلام

الفرق والمذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة

obeikandl.com

مظاهر تقدم العلوم الأساسية[١] في مدينة "غزنة"

أقام الإسلام دولة عظيمة مترامية الأطراف ضمت أممًا وشعوبًا مختلفة، واقتضت سياسته الراشدة إنشاء المدن وتعمير البلدان وتنظيم شئون المال من زكاة وخراج، ثم اقتضت طبيعة الحياة نفسها وتكاليف الشريعة أمورًا كتوقيت الشهور وقسمة المواريث وغيرها، هذا كله تطلب إنشاء فروع من العلوم لم يكن لهم بها عهدٌ، فنشأت علوم دينية كالفقه والتفسير، وعلوم لغوية كالنحو والصرف والبلاغة، وعلوم تطبيقية كالطب والفلك والهندسة.

وإذا كانت هناك أحاديث كثيرة وردت فى فضل العلم على وجه العموم، فالعلم الديني علي وجه الخصوص وردت فيه أحاديث عديدة أيضًا، ومنها عن "أبي هريرة" رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده" رواه مسلم وأبو داود وغيرهما[٢].

كما حرص العلماء علي صرف همم طلاب العلم إلى دراسة علوم القرآن والسنة، فالعلم بهما هو العلم الحق، يقول "ابن القيم":

---

[١]- أى العلوم الدينية: وهي تلك العلوم التي يرجع الأصل فيها إلي الشرعيات من الكتاب والسنة، والتي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يستتبعها من علوم لازمة لتمام الإفادة منها. محمدعادل عبدالعزيز:الحضارة الإسلامية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٠م، ص١٥٨.

[٢]- عبد الحليم محمود: موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، ص١٠٧.

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان[١]

وهناك أبيات منسوبة للإمام الشافعي، وهى تحض على دراسة القرآن الكريم والحديث وهما رمزا العلوم الدينية:

كل العلوم سوي القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين[٢]

وليس معني ذلك أنهم حينما ميزوا العلوم الدينية وجعلوها هى الأولى بالدراسة أن اهملوا العلوم الأخرى .والتي كان الدافع الحقيقي وراء الاشتغال بها هو رغبة العالم في استجلاء أسرار خلق الله ومعرفة قدرة الله وعظمته، فكل علم يجب أن يكون علي صلة بالدين، ويكون فى خدمته وتابعًا له.إنما أرادوا من ذلك أن ينوهوا بالعلوم التى يستطيع أن يلم بها الخاصة والعامة، والتى ينبغى أن تكون هى الثقافة العامة التى يتداولها الناس.

كان هناك سبب آخر وراء الاهتمام بالعلوم الدينية هو أن الاشتغال بها فى تلك الفترة كان من أكبر العوامل لتهيئة المعاش لصاحبها، فالعالم كان بإمكانه أن يصل بمعرفة العلوم القرآنية والفقه والحديث إلي أعلي المناصب كالقضاء والوعظ والتدريس، وكان بوسعه أيضًا أن يتقرب إلي السلاطين والأمراء ويكون موضعًا لاحترام الجميع.

من هذا المنطلق كان سلاطين مدينة "غزنة" يولون العلوم الدينية معظم اهتمامهم فأصبحت "غزنة" فى عهدهم منارة للعلم يقصدها كل طالب علم، وقد استمر هذا النشاط العلمي فترة طويلة، وكان فيها العلم أوثق ما يكون اتصالًا بالدين[٣]*، فالسلطان

---

[١]- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان: آداب طالب العلم، القاهرة، دار العلوم الإسلامية، ١٩٨٨م، ص٦٦.

[٢]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص٣٤٣

[٣]- Hillen Brand: Madrasahs Islamic Period, p١٦٦.

*أما فى عصرنا الحالى فقد تم فصل الدين والعلم فصلًا تامًا بدعوى عدم التجانس بينهما، فأقيمت جامعات خاصة للعلم يدرس بها الدين، وتم فصل الثقافة الإسلامية من مجتمع العلم والعلماء،

"محمود" (٣٨٨:٤٢١هـ / ٩٩٨:١٠٣٠م) اهتم بتشجيع العلوم الدينية [١]، وكان هو نفسه مولعًا بعلم الحديث فالتف حوله كثير من علماء الدين وتنافس أهل المذاهب الدينية والفقهية فى كسب تأييده لاعتقادهم أنه إذا اعتنق مذهبًا ساد فى الأقاليم الواسعة التي فتحها [٢]. كذلك السلطان مجد الدولة عبد الرشيد(٤٤١: ٤٤٤هـ/ ١٠٤٩: ١٠٥٢م) والذى كان من السلاطين ذوى الثقافة الدينية الواسعة، فكان يسمع ويروى الحديث [٣].

تشتمل العلوم الأساسية على عدة علوم هى علوم القرآن الكريم (علم القراءات وعلم التفسير) وعلم الحديث والفقه والتصوف.... فهى كثيرة ومتنوعة، ولكن من يريد أن يحصرها ويقلل عددها يجعل منها ثلاثة هى التفسير والحديث والفقه، وهذه العلوم الثلاثة توجد فى ظلها علوم أخرى، فالفقه يستتبع أصول الفقه والحديث يستتبع مصطلح الحديث [٤].

أولًا: علوم القرآن الكريم

ظل القرآن الكريم منبع لكثير من العلوم التى انشغل بها المسلمون فى تلك الفترة، فاستعان به علماء اللغة والنحو علي استنباط قواعد اللغة العربية، واستعانت الفرق الإسلامية المختلفة بكتاب الله واتخذوه أساسا للتدليل علي صحة ما ذهبوا إليه، وعلماء الفلك والهندسة وعلوم أخري مختلفة، لذلك نجده يؤثر تأثيرًا كبيرًا فى الثقافة العربية والإسلامية، فهو المنبع الذي نهل العلماء المسلمون منه معارفهم، وهو المحور الذي تدور

وأصبحت الثقافة الدينية معزولة تمامًا ولا يعرفها أو يدرسها إلا فئة قليلة من الناس الذين يريدونها لذاتها، وبذلك تم استقطاب أبناء الأمة الإسلامية في الأنواع الأخرى من التعليم وتم إبعادهم عن دراسة ثقافتهم الدينية.

[١] – ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٨١. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص١٣٢.

[٢] – محمد جمال الدين سرور: انقسام الدولة الإسلامية إلى دول مستقلة بالشرق، ص٣٦.

[٣] – استاد خليلى: المرجع نفسه، ٢٤٠.

[٤] – عبد الستار أبو غدة: رب زدني علمًا، ص٤٦.

عليه العلوم الدينية والأدبية واللسانية والتطبيقية [١]، وذلك بفضل إعجازه وتفوقه البياني، والذى شُغِل المفكرون المسلمون ببلاغته وبيانه، فاهتموا بأسراره البلاغية وتعمقوا بتفسير آياته وتأويلها واستنباط الأحكام منها، فظهر بذلك عدة علوم متعلقة بالقرآن الكريم، ومن أهمها علم القراءات وعلم التفسير.

❋ علم القراءات

علم القراءات من أول العلوم التى اهتم بها المسلمون، فهو المرحلة الأولى لتفسير القرآن الكريم[٢]، وهو العلم الذى يبحث عن صور نظم كلام الله تعالى وكيفية قراءة ألفاظه حفاظًا له من التحريف والتغير[٣].

ويرجع السبب فى ظهوره إلى خاصية الخط العربي الذى يجعل الكلمة الواحدة تقرأ بأشكال مختلفة تبعًا للنقط الموجودة فوق الحروف أو تحتها[٤]، بالإضافة إلى تباين لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة، فأوجد ذلك اختلافًا فى نطق حروف القرآن، لذلك أتفق بعد البحث والاستقصاء علي قراءات معينة، وقصد من تنوعها التسهيل[٥]، غير أنهم اختلفوا في عدد القراءات المعتمدة، فبعضهم جعلها سبع قراءات وبعضهم جعلها أكثر، غير أن الراجح هو سبع قراءات[٦].

---

[١]- ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٩٣١.

[٢]- حسنى الخربوطلى: الحضارة العربية الإسلامية، ص٣٦٥. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه والجزء، ص٢٥٣.

[٣]- طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج١، ص٣٤٧.

[٤]- محمد الحسينى عبد العزيز: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، الكويت، ١٩٧٣م، ص٦٨. ناجي معروف: تاريخ الحضارة العربية، ط٣، بغداد، ١٩٥٢م، ص٢٠٥.

[٥]- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، ط٤، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٦٩.عصام الدين الفقى: معالم التاريخ الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص٣٨٢.

[٦]- ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٩٣٣.

نسبت كل طريقة من هذه الطرق إلي من اشتهر بروايتها من بين الرواة الكثيرين، وهم: "نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم"(ت ١٦٩هـ / ٧٨٥م) من أهل "المدينة"، و"عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زادان بن فيروز بن هرمز"(ت ١٢٠هـ / ٧٣٧م) من أهل "مكة"، "أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة"(ت ١١٨هـ / ٧٣٦م) من أهل الشام، و"أبو عمرو زيان بن العلاء بن عمار"(ت ١٥٤هـ / ٧٧٠م أو ١٥٧هـ / ٧٧٣م) من أهل البصرة، و"أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات الكوفي"(ت ١٥٤هـ / ٧٧٠م أو ١٥٨هـ / ٧٧٤م)و"أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكوفي الكسائى"(ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)و"عاصم بن أبى النجود"(ت ١٢٧هـ / ٧٤٤م أو ١٢٨هـ / ٧٤٥م) من أهل الكوفة، وأضيفت ثلاث قراءات لكل من "حفص" وأبى جعفر" و"يعقوب"، فصارت القراءات عشر[١].

هذه القراءات العشر كلها جائزة عند المسلمين، وعند الأئمة أن الجميع على صواب، فقد يختار الإقليم الواحد قراءة واحدة أو قرائتين أو أكثر حسب ما يلائم طباع أهله[٢]، وبذلك أصبحت تلك القراءات علمًا مدونًا توضع فيه المصنفات التي ربما صحبها الرسم لأوضاع الحروف واعتبرت المعرفة بها فرضًا، كذلك تناول علماء كثيرون في جميع أرجاء البلاد الإسلامية هذه القراءات بالشرح وإبراز قواعدها وأحكامها[٣]. وللمقرئ صفات يجب أن يتحلى بها ومنها: أن يكون حرًا عاقلًا مسلمًا ثقة مأمونًا ضابطًا، وأن يكون ملمًا بعدة علوم منها:الفقه والأصول والنحو والصرف والتفسير[٤].

---

[١]- محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية، ص٥٩. طاش كبرى زادة:مفتاح السعادة، ج١، ص٣٦٦: ٣٨١.

[٢]- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ج٣، ط٢، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٤م، ص٦٦٧.

[٣]- عبد المنعم ماجد: المرجع نفسه، ص١٦٩، ١٧٠.

[٤]- ابن الجزرى: منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، القاهرة، مكتبة القدس، ١٩٣١م ، ص٤: ٦

قراء مدينة "غزنة":

حفلت مدينة غزنة بكوكبة من العلماء فى علم القراءات من بينهم:.

"أبو عبيد الله محمد بن آدم الغزنوى المقرئ"المعروف "باللهاورى"، كان شيخ متقن في القراءة اتسم بالورع والتدين والمداومة علي العبادة والمواظبة علي التهجد، ذهب إلى مدينة "قزوين"، ونزل فى خانقاه "جوهر خاتون"، واشتغل بالتدريس في "المدرسة العنبرية" إلي أن توفي سنة(٥٤٥ هـ / ١١٥٠م)[١]، قرأ على"عمر بن زكريا السرخسي"، وروى عنه القراءة "محمد بن عبد الرحمن بن أبي المعالي"[٢].

"أبوعبد الله محمد بن طيفورالسجاوندى الغزنوى"(ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) مقرىء ومفسر ونحوى، له تفسير حسن، وكتاب "علل القراءات" فى عدة مجلدات، وكتاب "الوقف والابتداء" في مجلد كبير، وله كتاب "عين المعانى فى تفسير السبع المثانى"[٣].

"أبو الفضل محمد بن يوسف بن علي بن محمد الغزنوى"(ت٥٩٩هـ /١٢٠٢م) مقرئ ومحدث وفقيه، تفقه علي "عبد الغفور بن لقمان الكردرى"، وقرأ عليه "الواقعات" حدث بالقاهرة وسمع من "أبى الكرم الشهرزورى"[٤]، وقرأ القراءات علي "أبى أحمد سبط الخياط" قرأ عليه بطرق المنهج السخاوي[٥]. وتصدر للإقراء، وممن قرأ عليه الإمامين "علم الدين السخاوي" و"جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب"، وممن أخذ عنه "ابن خليل" و"ضياء الدين المقدسي" و"الرشيد العطار"[٦].

---

[١]- القزوينى: التدوين في ذكرأهل العلم بقزوين، ج١، ص١٣١.

[٢]- ابن الجزرى: غاية النهاية في طبقات القراء، ج٢، ص٤٣. الصفدى: الوافى بالوفيات ،ج٣، ص١٤٧.

[٣]- الذهبى: طبقات القراء، تحقيق أحمد خان، ج٢، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٧م، ص٨٣٧. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٢٥٣.

[٤]- القرشى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص٤١١. ابن الجزرى:المصدر نفسه والجزء، ص٢٨٦.

[٥]- ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٣٤٣. الذهبى: العبر، ج٣، ص١٢٧.

[٦]- الذهبى: طبقات القراء، ج٢، ص٨٩٦، ٨٩٧.

ومن علماء "غزنة" المتصدرين في القراءات "عثمان بن علي الغزنوي المعروف بالتغالبي"، وهو مقرئ متصدر، قرأ علي "عبد الكافي"، وقرأ عليه "عمر بن زكريا السرخسي"[١].

ومن علماء القراءات الوافدين علي "غزنة" الإمام "أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الخبازى"(ت٤٤٩هـ / ١٠٥٧م)، درس القراءات علي يد والده "أبي الحسن المعروف بالخبازي الكبير"، وعلي" أبي بكر بن محمد الطرازي"، وتصدي للإقراء، وصنف العديد من الكتب في القراءات، وتخرج علي يديه عدد كبير من المقرئين بلغوا الآلاف "بنيسابور" و"غزنة"[٢]. "أبو علي الحسين بن أبي الفضل الشرمقاني" (ت٤٥١هـ / ١٠٥٩م) من العلماء المتميزين في علم القراءات ووجوهها، ذهب إلي "غزنة" في أيام السلطان "محمود الغزنوى"، وكان يكرمه غاية الإكرام، قرأ علي "أبي الحسني الحمامي" وأبي الحسن بن العلاف" و"عمر بن إبراهيم الكتانى" و"طالب بن عثمان النحوي" و"عبيد الله بن أحمد الصيدلاني" و"إبراهيم بن أحمد الطبري" و"أبي بكر محمد بن عبد الله الأصبهاني"، وقرأ عليه "أبو طاهر بن سوار" و"أبو منصور علي بن محمد الأنباري"، وتخرج علي يده الألوف من "غزنة" حتي صار من كبار مشايخها[٣].

الإمام "أبو بكر محمد بن أحمد بن الهيثم البلخي المقرئ"(ت٤٦٩هـ /١٠٧٦م) قرأ بالروايات على"أبي علي الأهوازي"، استوطن "غزنة"، وقرأ بها القراءات، وكان بصيرًا بالعلل، عالي الرواية، وله كتاب "جامع القراءات" جمع فيه القراءات العشر وغيرها، وأتى فيه بالكثير من الفوائد بالأسانيد المختلفة[٤].

---

[١]- ابن الجزرى: المصدر نفسه، ج١، ص٥٠٨.

[٢]- الذهبى: معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، تحقيق محمد جاد الحق، ج١، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٩٧م، ص٣٣٢.

[٣]- ابن الجزرى: المصدر نفسه والجزء، ص٢٢٧.

[٤]- الذهبى: معرفة القراء، ج١، ص٣٦٠. طبقات القراء ،ج٢،ص٦٧٩.

الحكيم الإمام "أبو الحسن الإبريسمى" كان إمام الجامع القديم بنيسابور، كان حافظًا للقرآن الكريم عالمًا بوجوه قراءته ،حمل ابنيه محمد ومحمود وتوجه إلى غزنة ،جعله السلطان إبراهيم (٤٥١: ٤٩٢هـ/١٠٥٩: ١٠٩٨م) فى سلك القراء ،فكان يحضر كل يوم إلى دار السلطنة لقراءة القرآن وظل على هذا الحال حتى توفى[١].

ومن كبارالعلماء المتصدرين من خارج "غزنة" "منصور بن محمد بن العباس أبو نصر الهروى"، وهو مقرئ متصدر نزل "غزنة" قرأ علي "أبي الحسن علي بن محمد بن الخبازى"، وقرأ عليه الأستاذ "أبو بكر محمد بن أحمد بن الهيثم الروذبارى" نزيل "غزنة"[٢].

و"عز الدين محمد بن عبد الرحمن بن أبي المعالي بن الراوى"، روي القراءات عن محمد بن آدم الغزنوى"، وروى عنه القراءات عرضًا "محمد بن مسعود القزوينى"[٣].

فضلًا عن "أبو حفص عمر بن زكريا السرخسى" مقرئ متصدر ناقل، قرأ علي "عثمان بن علي التغلبى"، وقرأ عليه "محمد بن آدم الغزنوى"[٤].

❋ علم التفسير

التفسير لغة الإيضاح و التبيين، واصطلاحا هو علم يبحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية[٥]، والغرض منه معرفة معانى النظم، وفائدته حصول القدرة علي استنباط الأحكام الشرعية، وموضوعة كلام الله الذى هو منبع كل حكمه ومعدن كل فضيلة، وغايته التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط

---

[١]- البيهقى: تاريخ حكماء الإسلام ،ص١٣٨.

[٢]- ابن الجزرى:غاية النهاية في طبقات القراء، ج٢، ص٣١٣.

[٣]- المصدر السابق والجزء، ص١٦٨.

[٤]- المصدر السابق، ج١، ص٥٩٢.

[٥]- طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج١، ص٣٩٨.

حكمه[١]. وهو يعتبر من أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق وأرفعها قدرا بالاتفاق[٢].

أما فضل التفسير فهو عظيم، وحاجة الناس إليه شديدة، فالوصول إلى السعادة الدنيوية والأخروية لا تتأتى إلا بالاسترشاد بالقرآن الكريم، والعمل بتعاليمه وهديه ونظمه الحكيمة، والعمل بهذه التعاليم والإفادة منها لا يتأتى إلا بعد فهم القرآن وتدبره، والتفسير هو الذى يتأتى به الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن الكريم[٣].

اشترط العلماء في مفسر القرآن الكريم شروطًا لا تتوافر إلا عند أعاظم العلماء، فقد اشترطوا أن يكون المفسر حسن المعرفة بقواعد اللغة العربية وأصولها، ومتعمقًا في مفرداتها ومعاني ألفاظها، وله دراية بأسباب نزول الآيات وظروفها، وأن يكون عليمًا بالشريعة الإسلامية مطلعًا علي أحكامها، ملمًا بما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم من تفسير لآيات القرآن الكريم[٤].

وقد اتجه المفسرون اتجاهين فى تفسير القرآن الكريم، الاتجاه الأول: التفسير النقلى أو المأثور، وهو بيان معنى القرآن الكريم بما جاء فى القرآن نفسه، وبما جاء فى السنة الصحيحة، وبما نقل عن الصحابة وعن التابعين[٥].

---

[١]- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، ج١، بغداد، ١٩٨٢م، ص٤٢٧. محمد حسين الذهبى: التفسير والمفسرون، ج١، القاهر، دار الكتب الحديثة، ١٩٦١م، ص٢٠.

[٢]. الشوكانى: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، راجعه يوسف الغوشى، ج١، ط٢، بيروت، دارالمعرفة، ١٩٩٦م، ص١٣.

[٣]- أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ط٣، القاهرة، مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٦٤م، ص٢٠٠.

[٤]- رحيم كاظم، عواطف محمد: الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٠٦.

[٥]- ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٩٣٥. محمد أبو النور الحديدى صقر: التفسير بالمأثور ومناهج المفسرين فيه، مكة المكرمة، سلسلة بحوث المركز العالمى للتعليم الإسلامى، ١٩٨٣م، ص٢٩.

أما الاتجاه الثانى: فهو التفسير بالرأى، وهو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته لألفاظ العربية ووجوه دلالتها، ويعتمد المفسر في تفسير الرأى على العقل أكثر من اعتماده على النقل، وذلك لأن القرآن هو دستور المسلمين في دينهم ودنياهم، وكلما تطورت الحياة الاجتماعية والاقتصادية رجعوا إليه ليروا فيه حلًا لما يستجد من الأمور والمشاكل، وكلما تطورت الحياة العقلية نظر العلماء إلي القرآن من وجهة نظر جديدة، وقرءوا فيه معانى لم تخطر علي بال من سبقهم، وقد أصبح تفسير القرآن فى أى عصر من العصور يحمل طابع الحياة العقلية والاجتماعية والدينية لذلك العصر، لأن المفسر عادة يساير أفكار الناس ويقصد إلى حل مشاكلهم، ويشرح لهم ألفاظ القرآن الكريم بالطرق المألوفة لديهم والأساليب المعروفة عندهم[١].

أما الأدوات التي يحتاج إليها المفسر من العلوم التي اعتبرها العلماء أدوات لفهم كتاب الله فهي علم اللغة وعلم النحو وعلم الصرف وعلوم البلاغة (المعاني .البيان .البديع) وعلم القراءات وعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه وعلم أسباب النزول وعلم القصص[٢].

أما بالنسبة للفرق الإسلامية المختلفة كالمعتزلة والصوفية والشيعة، فقد لجأ علماء تلك الفرق إلي تفسير القرآن بما يؤيد مذاهبهم وآرائهم، فتفاسير المعتزلة تتسم بتحكيم العقل في الإستدلال وقلة اعتمادها علي التفسير بالمأثور، كما كانوا يلجأون إلي التأويل إذا اعترضتهم من الآيات القرآنية ما يخالف مبدأ نفي الصفات عندهم. ويغلب علي تفاسير الصوفية طابع الغموض والمصطلحات الخاصة و المعاني التي لا يفهمها إلا المطلع علي آداب الصوفية الخبير بطرقهم في التفكير وأساليبهم في الكلام، فقد كان لهم آراء في فهم القرآن تختلف كثيرًا أو قليلًا عن الآراء الشائعة بين عامة العلماء، وعرف عنهم ما يعرف بالتفسير

---

[١]- رحيم كاظم، عواطف محمد: المرجع نفسه، ص٢٠٧.

[٢]- محمد حسين الذهبى: التفسير والمفسرون، ج١، ص٢٦٦: ٢٦٨.

الإشارى، وهو تأويل آيات القرآن الكريم علي خلاف ما يظهر منها بمقتضي إشارات حقيقية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة [١].

الخلاصة أن المؤلفات في مجال التفسير اصطبغت بتوجيه المفسر الفكرى، فالمفسر الصوفى يميل إلى التفسير الإشارى، واللغوى يميل إلى التفسير اللغوى، والذى يهتم بمجال العقائد يقدم تفسيره فى ضوء معتقداته، والتفسير متي كان بعيدًا عن الجهالة والضلالة مستندًا إلي ما يجب الإستناد إليه كان تفسيرًا محمودًا، وما غير ذلك فيعتبر مذمومًا[٢].

أشهر مفسري مدينة "غزنة":

يأتى فى مقدمتهم " أبو عبد الرحمن محمد بن حسين السلمى "(ت ٤١٢هـ /١٠٢١م) أصله من نيسابور، من كبار علماء التفسير فى مدينة غزنة، له مؤلفات عديدة فى التفسير منها كتاب "الحقائق فى التفسير"[٣].

"أبو بكر أحمد بن إسماعيل بن عيسى الغزنوى" أحد أئمة "غزنة" فى التفسير، سافر إلي خراسان والحجاز والعراق، وقابل "أبا القاسم القشيري"، وسمع منه ومن "الحاكم أحمد بن عبد الرحيم السراج"، وخرَّج لنفسه أربعين حديثًا، وحظى بشهرة واسعة "بغزنة"، عاش بعد العشرين وخمسمائة[٤].

"غالي بن إبراهيم ناصر الدين" الملقب "بتاج الشريعة ونظام الإسلام الغزنوي"، أقام "بحلب" ودرس بها فقه المذهب الحنفي، وهو إمام في التفسير والفقه والأصول والجدل،

---

[١]- رحيم كاظم، عواطف محمد: المرجع نفسه، ص٢٠٨.

[٢]- أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٠٩.

[٣]- استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٣٤٩.

[٤]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٦، ص١٩٢.الداودى: طبقات المفسرين، تحقيق على محمد عمر، ج١، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت)، ص ٣٢.

له تفسير للقرآن في مجلدين ضخمين، سماه "تفسير التفسير"، وله في الفقه كتاب "المشارع في الفقه"، وكتاب "المنافع فى شرح المشارع"، توفي سنة (٥٨٢هـ /١١٨٦م)[١].

"محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابورى الغزنوى"، لقب بـ"بيان الحق"، كان عالمًا مفسرًا لغويًا فقيهًا، له تصانيف حسنة منها كتاب "جمل الغرائب في تفسير الحديث" و"إيجاز البيان في معاني القرآن"[٢].

ومن أجل المفسرين الذين زاروا مدينة "غزنة":

"أبو بكر محمد بن الفضل البلخي" يعرف "بميرك البلخي الرواس" المفسر المعروف، روي عن "أحمد بن محمد بن نافع" و"محمد بن علي بن عنبسة" وصحب "أحمد بن خضرويه البلخى"، روي عنه "علي بن محمد بن حيدر"، وأجاز "لأبي بكر المقرئ" وصنف "التفسير الكبير"، وله كتاب "الاعتقاد" شرح فيه مذهب أهل السنة، ورد فيه علي المعتزلة، ألفه للسلطان "محمود الغزنوى"، توفي سنة (٤١٥هـ /١٠٢٤م) أو(٤١٦هـ /١٠٢٥م).[٣]

و"أبو الحسن على بن أبى الطيب عبد الله بن أحمد النيسابورى"(ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)، كان له معرفة عالية بالقرآن وتفسيره، وله عدة مصنفات في تفسير القرآن منها كتاب "التفسير الكبير" في ثلاثين مجلد، وكتاب "التفسير الأوسط" في أحد عشر مجلد، وكتاب "التفسير الصغير" في ثلاثة مجلدات[٤]، وكان يملى ذلك من حفظه، حُمل إلى السلطان "محمود الغزنوى" ليسمع وعظه سنة(٤١٤هـ /١٠٢٣م)، فلما دخل جلس بلا إذن، وأخذ فى رواية الحديث قبل أن يأمر له السلطان بذلك، فغضب لذلك السلطان "محمود"،

---

[١]- ابن قطلوبغا: تاج التراجم فى طبقات الحنفية، ص٤٩. الصفدى: الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٣٢٧.

[٢]- ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج١٩، ص١٢٤.

[٣]- الداودى:المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٤، ٢٢٥.

[٤]- ياقوت الحموى:المصدر نفسه، ج١٣، ص٢٧٣: ٢٧٥.

وعندما عرف بعد ذلك منزلته فى الدين والعلم اعتذر له وأمر له بمال فرفضه الشيخ اعتزازًا منه بكرامته[١].

"أبو الحسن على بن فضال بن على بن غالب المجاشعى القيروانى المعروف بالفرزدقى"، له رحلات عدة، زار من خلالها مدينة "غزنة" وألف بها كتبًا بأسماء أكابرها، وأقرأ الآداب بها، وانتشر صيته فيها، وكان له باع فى التفسير، ومن أهم كتبه في التفسير كتاب "الإكسير في علم التفسير" فى خمسة وثلاثين مجلدًا، و"البرهان في التفسير" في عشرين مجلدًا، وله أيضًا "البسملة وشرحها" في مجلد واحد، توفي سنة(٤٧٨هـ /١٠٨٥م)[٢].

[١]- الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٧٣، ١٧٤.

[٢]- ياقوت الحموى: معجم الأدباء ،ج١٤، ص٩٠، ٩١. الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٢، ص٢٧١. سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٥٢٨.

obeikandl.com

ثانيًا: علم الحديث[١]

[١]- انقسم هذا العلم إلى فرعين: الأول علم الحديث "رواية "وهوعلم يختص بأقوال النبى صلى الله عليه وسلم، وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية وضبطها وتحريرها*، والثانى علم حديث "دراية" وهو علم يتناول حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها وأقوال الرواة وشروطها وأصناف المرويات وما يتعلق بها، وفي عبارة موجزة: هو علم بقوانين ما يعرف به أحوال السند والمتن، وقد يتفرع عن هذين العلمين عدة علوم وهذه العلوم هى:علم مصطلح الحديث وعلم علل الحديث وعلم رجال الحديث وعلم الجرح والتعديل.

علم مصطلح الحديث: هو العلم الذى يبحث في أنواع الأخبار والروايات الواردة وأحكامها وشروطها لتمييز الصحيح فيقبل والغير صحيح فيرد، ويتناول كذلك سماع الحديث وطرق ضبطه وأدائه. وعلم علل الحديث "الحديث المعلل":هو الحديث الذى ظاهرة السلامة اطلع فيه بعد البحث قادح، أى أن هذا العلم يبحث في علة السند أو المتن عند ثقات المحدثين، الذين يرون حديثًا ظاهرة السلامة لجمعه شروط الصحة من حديث الظاهر، إلا أنه قد تظهر فيه علة ناشئة عن وهم أو إلتباس في الضبط، وهذا العلم من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلي اطلاع واسع علي جميع علوم الحديث وما يتعلق بها، ولا يقوم به إلا من رزقه الله فهمًا ناقدًا وحفظًا واسعًا ومعرفة تامة بمراتب الرواة وملكة قوية بالأسانيد والمتون.

علم رجال الحديث: يتناول البحث عن رواة الأحاديث من جهات متعددة بهدف الكشف عن كل راوٍ، واستبانة حاله أمام العلماء من حيث قبول روايته أو ردها ودرجته ورتبته عن المحدثين، ودوره في تحمل الحديث وأدائه، ولقد تشعب هذا العلم حتي ألف فيه العلماء كتبًا مستقلة في فروعه فوضعوا مصنفات فى أسماء الرواة وكناهم وألقابهم وأنسابهم وفي معرفة مواليدهم ووفياتهم والبلاد التي نشأوا فيها والتى ارتحلوا إليها، والتي ماتوا فيها، وشيوخهم وتلاميذهم، وأهمية هذا العلم تعود إلى أنه يكشف كذب بعض الرواة كأن يحدث عن راوٍ آخر لم يعاصره فيكشف تاريخ الوفاة مثلاً عن كذبه.

علم الجرح والتعديل: هو أحد فروع علم رجال الحديث، وأولاه العلماء اهتمامًا كبيرًا لأنه يضم القواعد والأصول لمن يحدث عن رسول الله فهو يبحث في أحوال الرواة من جهة أمانتهم فيتقبل حديثه وما عدا ذلك فلا يقبل حديثه، لذلك فهو العلم الذي توزن فيه الرجال حتي أن العلماء أطلقوا عليه اسم "علم ميزان الرجال"**

* التنوخى: نشوار المحاضرة وأخبار المذكرة ،تحقيق عبود الشالجى ،ج١، ١٩٧٢م،ص٢. طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج١، ص٣٩٧.

هو علم إسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم، ليقع الوثوق بأخبارهم [١].احتل علم الحديث المنزلة الثانية في الأهمية بعد علوم القرآن الكريم، وقد كانت دراسة علوم القرآن باعثًا قويًا علي ظهور علم الحديث الشريف، وذلك لأنه يفصل ما أجمله القرآن الكريم ويفسر ما يصعب علي الناس فهمه، فقد شرحت الأحاديث الكثير من الآيات القرآنية[٢]، يقول الله عز وجل في كتابه العزيز ﴿وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الذِكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم﴾[٣]. كما أن الحديث أوسع منبع للتشريع فى العبادات والمسائل الدينية والجنائية[٤].

من هنا كان اهتمام الناس بالحديث فقرنوه بالقرآن واعتبروا ثقافة القرآن والحديث هي الثقافة الدينية للناس، ونتج عن هذه الأهمية أن قامت رحلات عدة في طلب الحديث، وكان لتلك الرحلات أثر بعيد في انتشار السنة، كما كان لها فائدة عظيمة في معرفة طرق كثيرة للحديث الواحد، فقد يسمع الراوي من علماء البلد الذى رحل إليه زيادات لم يسمعها من علماء بلده، وكثيرًا ما يجد عندهم ما لم يجده عند شيوخه، وقد تقع مناظرات بين علماء الأمصار وتعرض فيها الأحاديث المختلفة، فيعرف الحديث القوى من الضعيف، ويزداد الطلاب معرفة لأسباب ورود الحديث[٥].

**سالم إسماعيل: دراسات في علم الحديث، باكستان، المكتبة العلمية بلاهور، (د.ت)، ص١٠، ٩٥، ١٧٦، ٢١٠، ٢٢٦.

[١]- ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٩٣١. حاجى خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، ج١، ص٤٠.

[٢]- رحيم كاظم، عواطف محمد: الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٠٩.

[٣]- النحل: (٤٤)

[٤]- عبده الشالجى: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، ط ٥، بيروت، دار صادر، ١٩٧٩م، ص١٨٠.

[٥]- محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص١٣٤.

صنف العلماء في الحديث ما لا يحصي من المصنفات، وقد اختلفت مقاصدهم في تألفيها وجمعها وترتيبها، فمنهم من اعتمد علي ذكر أحاديث التوحيد وإثبات الصفات، ومنهم من قصد ذكر أحاديث الأحكام ومنهم من اقتصر علي العبادات[١]، كتب هؤلاء كتبهم كتابة وثيقة فيها الإسناد، وفيها الرواية، وفيها كثرة الطرق والروايات التي تبين كل حديث كيف وصل من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي أصحابة ثم التابعين ثم تابع التابعين إلي أن تصل إلي أصحاب الكتب المدونة التي أحصوا فيها تلك الأحاديث وأوردوا فيها الأسانيد[٢]، فلم يكن هناك تهاون في علم الحديث فوقوع المحدث فى غلطة واحدة كافٍ للقضاء عليه نهائيًا وإخراجه من زمرة المحدثين[٣].

شهد القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى اكتمال جمع الحديث وتدوينه وتصنيفه، ثم بعد ذلك انصرف العلماء إلي تلك الكتب الموثوق في صحتها، وأخذوا يشرحونها ويهذبونها ويعيدون ترتيب الأحاديث وفق أنماط جديدة[٤].

ومما يوضح أهمية علم الحديث أن معظم العلوم والمعارف تأثرت بعلم الحديث، فقد أخذت تلك العلوم بأساليب الحديث واتباع طريقة النقل بواسطة سلاسل السند، فقد كانت القاعدة الإسلامية المتبعة تشير إلي أن أي شخص لم يتتلمذ علي شيخ أو سمع عليه لا يصلح أن يتولي الرواية أو التدريس، وهذا من قواعد علم الحديث. وأكبر تأثير لعلم الحديث كان علي علم التاريخ، إذ كان الرواة في أغلب الأحيان رواة حديث وتاريخ في آن واحد، كما أن أساليب النقل وترتيب المواد كانت متماثلة في كلا العلمين اللذين اعتمدا علي

---

[١]- حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٥٢.

[٢]-عبد الستار أبو غدة: رب زدنى علمًا، ص٦٤.

[٣]- منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص١٠٧.

[٤]- رحيم كاظم، عواطف محمد: الحضارة العربية الإسلامية، ص٢١٢.

الرواية الشفهية بالدرجة الأولي، بل إن المجموعات الأولي للحديث والتاريخ كانت واحدة، والمؤرخون كانوا هم أنفسهم المحدثين في الوقت ذاته [١].

صنف المشتغلون بعلوم الحديث وفق حفظهم وإتقانهم إلى:

- طالب الحديث: وهو من شرع فى طلب الحديث
- المسند: وهو من يروى الحديث بسنده سواء أكان عنده علم به ام ليس له إلا مجرد الرواية
- المحدث: وهو من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية ويعرف السانيد والعلل وأسماء الرجال، ويعرف علومه واصطلاحات أهله، ويحفظ كثيرًا من المتون[٢]
- الحافظ: وهو أرفع درجة من المحدث بحيث يكون ما يعرفه فى كل طبقة أكثر مما يجهله، ويحيط بما أجمع عليه العلماء وما اختلفوا عليه، وهذه الرتبة لا تطلق إلا على من تبحر فى هذا العلم وأوتى سعة وبسطة فى معرفته وتفهيمه والوقوف على دقائقه [٣]

كانت مدينة "غزنة" قبلة للراغبين فى دراسة علم الحديث وروايته من شتى بقاع العالم الإسلامى، فالمحدث لم يكتف ببلد واحد فى رحلته لطلب الحديث، بل كان يتنقل بين عدة بلدان للتأكد من صحة الأحاديث التى يرويها، وكانت "غزنة" محطة لكل من يقوم بتلك الرحلات[٤].

---

[١]- منير الدين أحمد: المرجع نفسه، ص٢٢.

[٢].السيوطى: تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ج١، ط٢، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦م، ص٤٣. محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص٤٤٦.

[٣].منيرة ناجى سالم: تاج الإسلام أبو سعد السمعانى وكتابه التحبير فى المعجم الكبير، ص٣٢١.

[٤]- ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ،تحقيق محب الدين العمرى،ج١، بيروت، دار الفكرالعربى،١٩٩٥م، ص١٤.

ومن هؤلاء المحدثين:

"أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن إدريس الإستربازي"(ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)الحافظ ويعرف بالإدريسى، رحل إلى مدينة "غزنة" ومنها إلى الهند، اهتم بالحديث[١].

"أبو سعد محمد بن منصور الحسن الجولكي الجرجاني"حدث بمدينة "غزنة" ونيسابور وهراة، سمع "أبا بكرالإسماعيلى" و"أبا أحمد الغطريفى"، وروى عنه"نجيب بن ميمون" وآخرون[٢].

"أبو عبد الله محمد بن الحسين بن إبراهيم بن علي بن عمروية الإسفرائيني" (ت٤٢٠هـ /١٠٢٩م) نزل "غزنة" حيث حدث بها، كما حدث بنيسابور سنة(٤١٤هـ /١٠٢٣م)، أخذ من "الغطريفى" وطبقته، وروى عنه "أبو صالح المؤذن"[٣].

الإمام "أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الصابوني المعروف بشيخ الإسلام"(ت ٤٤٩هـ /١٠٥٧م)، كان مفسرًا ومحدثًا وفقيهًا وواعظًا حيث اشتغل بالوعظ ستين سنة، سمع "أبا طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحق بن خزيمة"و"أبا بكر الجوزقى" وأستاذه "الحاكم أبا عبد الله" وغيرهم، وسمع منه الحديث الإمام "أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى" وغيره كثير من علماء "غزنة" وبلاد الهند وجرجان وطبرستان[٤].

---

[١]- سامية مصطفى مسعد: دور سلاطين غزنة فى نشر الإسلام فى الهند، ص٢٨٥.

[٢]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٢٨، ص٢١٥.

[٣]- المصدر السابق والجزء، ص٥٠٧.

[٤]- ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص٤٤. السمعانى:الأنساب، ج٣، ص٥٠٦. ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٧، ص١٦.

obeikandl.com

كان أوحد وقته فى طريقته حافظًا كثير السماع والتصنيف ،حريصًا على العلم سمع الكثير،رحل ورزق العزة والجاه فى الدين والدينا ،كان سيف السنة ودافع أهل البدع [١].

"أبو عثمان سعيد بن أبى سعيد أحمد النيسابورى الصوفى المعروف بالعيار" (ت٤٥٧هـ /١٠٦٤م) رحل فى طلب الحديث، ودخل "غزنة" وأقام بها فترة وتوفى بها، حدث بصحيح البخارى عن "محمد بن عمر بن شبويه"، وروى عنه "أبو عبد الله العزاوى" و"أبو القاسم الشحامى" و"أبو المعالى محمد بن إسماعيل الفارسى". ومما ذكر عنه أنه كان لا يروي شيئًا من علمه، فرأى بدمشق رؤيا حملته علي رواية مسموعاته، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يسلم عليه فتلقاه "أبو بكر الصديق" برسالة عتاب من الرسول صلى الله عليه وسلم: كيف لا تروى أخبارى وتنشرها؟، فقال فأنا منذ ذلك أطوف فى البلدان وأروى مسموعاتي[٢]. وعمَّر حتى جاوز المائة وتفرد بالرواية عن شيوخه ،وخَرج له أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي "الفوائد" فى عشرين جزءًا انتقاها من أصوله وحدث بها، وقد حدث أبوعثمان بدمشق وأصبهان و هراة وغزنة، وروى عنه الكبار والأئمة [٣].

"أبو عبد الرحمن حنبل بن أحمد بن حنبل الفارسي"(ت٤٦٠هـ /١٠٦٨م) نزيل "غزنة"، وهو من مشاهير مشايخ عصره، سمع بنيسابور "أبا عبد الرحمن السلمي" و"أبا سعد الزاهد" و"أبا بكر الحيري"، رحل إلي "غزنة" وحدث بها[٤].

"أبو الحسن على بن محمد بن نصر الدينورى اللبان"(ت٤٦٨هـ /١٠٧٥م) نزيل "غزنة" ومحدثها، كان أحد الجوالين لطلب علم الحديث وجمعه، روي الكثير "بغزنة"،

---

[١]- ابن كثير:طبقات الفقهاء الشافعيين، تحقيق أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم، ج١، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٣م، ص٤٠٨.ابن قاضى شهبة: طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق على محمد عمر، ج ١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت)،ص ٢٠٣.

[٢]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٠، ص٤٣٢. سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٨٦: ٨٨.

[٣]- الصفدى: الوافى بالوفيات ،ج١٥، ص١٢٣.

[٤]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٠، ص٤٨٣.

سمع في كل بلد مر به، فسمع "أبا عمر بن مهدى" ببغداد، و"أبا عمر الهاشمى" بالبصرة، و"أبا عبد الرحمن السلمي" و"أبا بكر الحيري" بنيسابور، روى عنه "مسافر" و"أحمد" ابنا "محمد بن علي البسطامي"، كما روى عنه "أبو بكر الخطيب"، وأجاز "لحنبل بن على"، وجمع الكثير من الأحاديث، وكان ثقة في رواية الحديث[١].

"أبو عبد الله عيسي بن شعيب بن إبراهيم السجزى الصوفي المحدث"(ت ٥١٢هـ /١١١٨م) مولده بسجستان، سمع من "على بن بشرى الليثى"، وبغزنة من "الخليل بن أبى يعلى" قال عنه "أبو سعد السمعانى": هو صحيح صالح حريص علي السماع[٢].

السيد العالم العدل "أبو القاسم على بن أحمد بن الحسن الصيرفي الفارسي" (ت٥١٥هـ /١١٢١م) من أصحاب الحديث البارعين، كان له أسانيد عالية، ومن مشايخه "أبو عثمان سعيد بن أبي سعيد العيار"، وذكر أنه رأي الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام بالشام، فقال له: جمعت أحاديثى فارتحل إلي خراسان، فأسمعها الناس، فأتي "غزنة" فأسمع بها الحديث، ووصل صيته لسلطان "غزنة" فأعطاه ألف دينار، توفى بسمرقند ودفن في مشهد أصحاب الحديث "بجاكرديزة"[٣].

"أبو الفتوح بركات بن المبارك بن إسماعيل "من أهل "غزنة" (ت٥٢٥هـ / ١١٣٠م)، كان فقيهًا فاضلًا مناظرًا من أصحاب الحديث، له مصنفات عدة أعربت عن غزارة علمه وبراعة أدبه وحسن فضله، ومن أهم مصنفاته كتاب "لمع التواريخ" الذي توقف فيه حتي سنة(٥٠٠هـ /١١٠٦م)، وكتاب "الشعر والشعراء" الذى حدث فيه عن أفاضل الشعراء[٤].

---

[١]- الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣٦٩.

[٢]- الذهبى: سير أعلام النبلاء،ج١٩، ص٣٩٠. تاريخ الإسلام، ج٣٥، ص٣٣٩.

[٣]- النسفى: القند في ذكر علماء سمرقند، ص٥٦٣.

[٤]- عماد الدين الأصفهانى: خريدة العصر، ج٢، ص١٤٨.

"أبو الحسن بن غافر بن إسماعيل بن سعيد الفارسى الحافظ" (ت٥٢٩هـ /١١٣٤م)، كان إمامًا في الحديث، تفقه علي إمام الحرمين "أبي المعالى الجوينى"، سمع منه الحديث الكثير، رحل إلي عدة بلاد منها "غزنة"، وروى بها الأحاديث، وقرئ عليه لطائف الإشارات، صنف كتبًا عديدة منها "المفهم لشرح غريب صحيح مسلم" وكتاب "مجمع الغرائب فى غريب الحديث"، ومؤلفات كثيرة غير ذلك[١].

"أبو القاسم الجنيد بن محمد بن المظفر الغزنوى"(ت ٥٤٠هـ /١١٤٥م)سمع بنيسابور، كما سمع بسرخس "أبا بكر بن عبد الغفار السيروى" و "ناصر بن محمد العياض"، وسمع ببغداد من " أحمد بن محمد بن عبد الواحد المتوكلى"، وسمع منه "أبو سعد" بسرخس[٢].

"أبوالفضل محمود بن أحمد بن عبد الرحمن الغزنوى"(ت٥٦٣هـ /١١٦٧م) حدث بكتاب "تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء" "لأبى الفتح عبد الصمد بن محمود بن يونس الغزنوى"، وصحب "أبا الفتوح أحمد بن محمد الغزالى" وأخذ عنه علم الوعظ، وقدم بغداد سنة(٥٥٧هـ /١١٦١م)، وعقد بها مجلس الوعظ ثم انتقل إلي واسط فسكنها حتي وفاته[٣].

"أبو مسلم عمر بن على بن أحمد بن الليث البخارى" سمع "بغزنة" "مظفر بن الحسين على بن محمد الدينورى اللبان" و"سعيد العيار"، وحدث عنه "أبو الحسين بن الطيورى" و"أبو غالب بن البناء" وآخرون، وكان شديد العناية بصحيح الحديث[٤].

يتضح من العرض السابق لأهم علماء الحديث فى مدينة "غزنة " ،أنهم كانوا أئمة فى الحديث والفقه ، وقد أضيفت صفة الفقه إليهم لبيان أنهم لم يكونوا ممن يكتفون برواية

---

[١]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١٣، ص٢٢٥. السبكى: طبقات الشافعية، ج٧، ص١٧٣.

[٢]- القرشى: الجواهر المضيئة، ج٢، ص٢٢.

[٣]- المصدر السابق، ج٣، ص٤٣٠.

[٤]- الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٠٨.

الأحاديث بل كانوا ممن يفهمونها ويستطيعون استنباط الأحكام منها ،فقد انتقد ابن الجوزى فى كتابه "تلبيس إبليس" تلك الفئة من أصحاب الحديث التى لاتفهم الأحاديث التى جمعتها ،ومنهم من كان يجهل الفقه إلى حد اللجوء إلى بعض طلابهم ممن لهم دراية بالفقه لمعرفة بعض الأحكام الشرعية [١].

ثالثًا: علم الفقه وأصوله

الفقه في اللغة هو العلم بالشئ والفهم له والفطنة، وفى الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من أداتها التفصيلية (أى ما ورد في القرآن الكريم وفى السنة من الآيات والأحاديث الدالة على الحكم مباشرة)، فاستخراج الأحكام من تلك الأدلة يقال له فقه، وهو مستنبط بالرأي والإجتهاد، ويحتاج فيه إلي النظر والتأمل وهو المسمي بعلم الحلال والحرام والشرائع والأحكام[٢]. كذلك سمي علم الفقه بعلم الفروع لأن علماء الدين في الإسلام جروا علي تشبيه التشريع بشجرة لها أصول وفروع[٣]. ولفظ الفقه كان في بداية الإسلام لفظ مطلق شمل العلوم كلها وخاصةً علم الآخرة[٤]، ثم تميز الفقه تدريجيًا

[١]- ابن الجوزى: تلبيس إبليس ،ضبط نصوصه وخرج أحاديثه حلمى بن إسماعيل ، الأسكندرية، دار العقيدة للتراث، ٢٠٠٠م ،ص١٢٧.

[٢]- الآمدى: الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة، مطبعة المعارف، ص٢٧. الغزالى:المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الأشقر، ج١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م، ص٣٥.اليوسفى:البدور اللوامع فى شرح جمع الجوامع فى أصول الفقه، ج١، تحقيق حميد حمانى اليوسفى، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م ،ص١٦٨.

[٣]-عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٧٦.

[٤]-الغزالى: إحياء علوم الدين، ج١، ص٤٣.

فأصبح يعنى إعمال الذكاء لفهم الأحوال الخاصة وإصدار أحكام بشأنها عن طريق تفسير العلم واستلهامه[١].

وعلم الفقه ذو أهمية كبيرة لأنه يُعين المسلمين علي حل مشاكل دينهم ودنياهم، فنجده يشمل كل نواحى الحياة الدينية والسياسية والمدنية، فهو علم "القانون الإسلامي" دينيًا ودنيويًا، فيدخل في تنظيم العبادات وتنظيم أمور الدنيا من عقوبات ومناكحات ومعاملات، كذلك يدخل فيه القوانين التى تنظم إدارة الدولة ودستورها وأمور الحرب، فكل نواحى الحياة العامة والخاصة يلزم تنظيمها قوانين يقرها الدين وذلك هو علم الفقه[٢]. فالفقيه يقوم بدراسة الوقائع المادية والقولية، ثم ينظر في ما لديه من أحكام ليقرر ما ينطبق منها على الواقعة محل النظر، إنه يطبق الأحكام الشرعية علي أفعال الناس وأقوالهم لمعرفة الرأى الشرعى فيها، ولتحديد الحقوق والواجبات ولمعرفة ما هو واجب، وما هو مستحب، وما هو مكروه.

وكفى بهذا العلم شرفًا وفخرًا قول الإمام الشافعى رضي الله عنه "العلم علمان علم الطب للأبدان، وعلم الفقه للأديان"[٣]. وقول أحد شعراء "غزنة" وهو الشاعر "بديع الترك":

واسمع من العلم ما صحّت روايته ... واستوف حظك قبل الفقه من أدب

عليك بالفقه من بين العلوم لكي ... ترقي إلي الذروة العليا من الرتب[١]

---

[١]- جوستاف لوبون: حضارة الإسلام، ص١٨٦. عبد المنعم الحنفى: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، القاهرة، مطبعة الإرشاد، ١٩٩٣م، ص٨١.

[٢]- ابن المرتضى: كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ويليه كتاب جواهر الأخبار والآثار للعلامة المحقق محمد بن يحيى بهران الصعيدى المتوفى(٩٥٧هـ)، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٤٧م، ص٢. ناجي معروف: تاريخ الحضارة العربية، ص ٢٢٦. جاد الحق علي جاد الحق:الفقه الإسلامى، نشأته وتطوره، معهد الدراسات الإسلامية، دار السعادة للطباعة، ١٩٩٥م، ص٧.

[٣]- طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج١، ص٢٦٧.

لم يظهر الفقه كعلم في أول الأمر لوجود الصحابة والتابعين، ولكن عندما تعددت مشاكل الإسلام وبُعد العهد بظهور الإسلام احتيج إلي ضبط الشرع فظهر علم الفقه، ولكنه لقي مقاومة شديدة أول الأمر، شأن كل جديد إذ بسببه صارت أحكام الشريعة مسائل نظرية، وتحول امتثال أوامر الدين إلى تعمق وتدقيق فى النظر، وقد أثار هذا معارضة من جانب أهل الورع، ومن جانب رجال السياسة أيضًا، ولكن الناس أخذوا يعترفون شيئًا فشيئًا بأن علماء الشريعة هم ورثة الأنبياء[٢].

بعد ذلك ظهرت عدة طرق فقهية وهى ليست فرقًا وإنما دراسات لذلك أطلق عليها مذاهب فقهية[٣]، وتعتبر المذاهب الفقهية أهم مرحلة من مراحل نمو الفقه الإسلامى لأنها مرحلة النضج والكمال والتدوين له[١].

---

[١]- عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٦٣.

[٢]- محمد جلال شرف: التصوف الإسلامي ومدارسه، دار المطبوعات الجامعية، الأسكندرية، ١٩٧٤م، ص٢١.

[٣]- *مصطلح المذهب مشتق من الفعل ذهب أى أتبع طريقًا معينًا، ويستخدم للدلالة على اتجاه أو فكر أو مبدأ معين، ومعناه المبادئ التى لا يدور حولها خلاف فى الرأى، فإذا استعمل مضاف إليه كأن تقول: مذهب مدرسة فقهية معينة يكون معناه: المبادئ التي تحظى بإجماع فقهاء هذه المدرسة، أما إذا استعمل على إطلاقه فيمكن اعتباره مرادفًا لكلمة "إجماع"، وعلي العكس من ذلك تعني كلمة "الخلاف" الاختلافات في الرأى بين الفقهاء سواء كانوا من مذهب واحد أم من جميع المذاهب الفقهية، كما يظهر التضاد بين الإجماع والخلاف أيضًا فى التضاد بين المذهب والخلاف، فالخلاف له علاقة بالمسائل الفقهية المختلف عليها، وهي المسائل الخلافية، ومن أراد الاشتغال بالخلاف فعليه أن يتقن الجدل والمناظرة.** والمذهب الفقهى ليس إلا مدرسة لفقيه تفرغ لمعرفة الأحكام وتابعه تلاميذه وأصحابه وقلدوه، حتى نشأ له اتجاه يسلكه في فهم الأحكام الشرعية، وكان من دأب هؤلاء الأصحاب أن يحفظوا أقوال أئمتهم ليحفظوا أوقاتهم من تكرار البحث فيما سبق، ولم يكن أحد من الأئمة يأمر أو يرضى لأصحابه أن يكتبوا أقواله دون اقتناع، بل كان أكثر هؤلاء الأئمة يحثوا أصحابهم على أن ينظروا من حيث نظروا وأن يجتهدوا من حيث اجتهدوا، ولكن ما كان عليه هؤلاء الأئمة من تفوق ونبوغ جعل أصحابهم يهتمون بحفظ أقوالهم وتدوينها إلى أن نشأت المذاهب الفقهية، والتى كان جل اهتمامها تطبيق القرآن والحديث وتيسير

openkandil.com

ومن أهم مذاهب أهل السنة الفقهية أربعة مذاهب ترك أصحابها مؤلفات صار الفقهاء مقيدين بها، وهى: مذهب أهل الرأي أتباع الإمام "أبي حنيفة"(١٥٠:٨٠هـ /٦٩٩: ٧٦٧م) ومذهب أهل الحديث أتباع الإمام "مالك"(٩٧: ١٧٩هـ /٧١٥: ٧٩٥م)، ومذهب الإمام "الشافعي"(٢٠٤:١٥٠هـ /٨١٩:٧٦٧م)، ومذهب الإمام "أحمد بن حنبل"(١٦٤: ٢٤١هـ /٧٨٠م: ٨٥٥م)[٢].

أجمعت المذاهب الفقهية الأربعة على القول بأن القرآن الكريم والسنة مصدرا الفقه الإسلامي الرئيسيان، والقياس[٣] والإجماع[٤] مصدران متممان[١]. فالحديث يساند القرآن

للناس سلوك أحكام الله عز وجل والتعرف على دين الله تعالى، وتنظيم العلاقة بين الناس بعضهم مع البعض الآخر.

*جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١٢٦: ١٢٨.

**عبد الستار أبو غدة: رب زدنى علمًا، ص٦٨. أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٣.

[١]- أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٢٠.

[٢]- ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٩٤٩.

[٣]- القياس: *هو قياس ما لم يرد حكمه فى الكتاب والسنة علي ما ورد حكمه فيهما لاتفاق المقتبس والمقتبس عليه في علة الحكم ** ولابد لصحة القياس من مقدمات ثلاث: (١) استنباط علة الحكم الذى فيه نص من كتاب الله أو سنة رسوله. (٢) التماس تلك العلة فى الواقعة الأخرى التي لا نص على حكمها.(٣) تساوى الواقعتين فى الحكم بعد تساويهما في العلة، *** وقع استعمال القياس فى أول الأمر وعلى أوسع صورة بين الحنفية ثم بين الشافعية من بعدهم، ولكن في مجال أضيق، ولم يرفضه إلا "ابن حنبل".

*محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية، ص١٨٠ .**رحيم كاظم، عواطف العربى: الحضارة العربية الإسلامية، ص٢١٥. ***دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٨م، ص٤٤. جوستاف لوبون: حضارة الإسلام، ص١٩٠.

[٤]- الإجماع: هو اتفاق آراء جميع مجتهدى الأئمة على أمر من الأمور فى الحالات التى لم يرد فيها نص من الكتاب أو السنة. محمد عادل عبد العزيز: المرجع نفسه والصفحة. عبده الشمالى: دراسات فى تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، ص١٨١.

obeikandi.com

الكريم فى تقديم مادة الفقه، فمن نصوصها صيغت القواعد واستنبطت الأحكام، ولا غنى للباحث في الفقه الإسلامي عن الحديث لأنه المبين للقرآن،المفصل لمجمله المقيد لمطلقه،المعبر عن روحه واتجاهه[٢]. أما القضايا الفقهية التي لا تجد لحلها أساسٌ صريحٌ في القرآن أو السنة يمكن أن تنظم بالإجماع ،ولذا فإن الفقه الإسلامى لا يكون جامدًا مغلقًا من حيث المبدأ، ولكن كانت هناك درجة من الحرية سادت فى تفسير آى القرآن الكريم والحديث وتفاوت استعمال الإجماع والقياس[٣].

أدت المناظرة دورًا مهمًا في تطور الفقه وإيضاح معالم أصوله عند المسلمين، وكان الخلاف الفقهي يرافق تطور الحياة وما يحدث من وقائعها ذلك الخلاف الذي عبر عنه الفقهاء بالمناظرة [٤]. كما كان من عوامل النشاط الفقهى بين العلماء ما يتمتعون به من حرية الرأي في البحث العلمي ،وحرية الاجتهاد في الاستنباط ،فكل من استكمل أدوات الاجتهاد عليه أن يجتهد في الوصول إلى الأحكام من مصادرها ،دون أن تتحكم فيه سلطة أو يحجر عليه فى رأى[٥].

هذا وقد تحول علم الفقه تحولًا جديدًا في القرن الرابع الهجري، وكان من أكبر مظاهر هذا التحول وقف باب الاجتهاد، لأن هذا العلم وصل إلي ذروة مجده في القرون السابقة، لذا أقفل العلماء باب الاجتهاد المطلق، وفتحوا باب الأخذ بالرأى فى فهم القرآن والحديث[٦].

---

[١]- حيدر بامَات: مجالي الإسلام، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٦ م، ص١٨٤.

[٢]- عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين، مدخل لدراسة الإتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث، القاهرة، مطبعة دار نشر الثقافة، ١٩٧٢ م، ص١٤.

[٣]- حيدر بامَّات: مجالى الإسلام، ص١٨٢.

[٤]- رحيم جبر الحسناوى: المناظرات اللغوية والأدبية، ص٢٨.

[٥]- جاد الحق علي جاد الحق: الفقه الإسلامى ، ص٧٨.

[٦]- محمد حسن العمادى: خراسان فى العصر الغزنوى، ص٣٠٢.

ترتب علي غلق باب الاجتهاد أن وجه الفقهاء نشاطهم إلي المسائل السياسية، فمنهم من دخل مجال العمل الإدارى، ومنهم من شارك في إدارة المدارس الفقهية وخدمة النظام القائم في البلاد، كما كان الحال بالنسبة للعائلتين التبَّانية والصاعدية فى الدولة الغزنوية[١].

كما لم تظهر المنافسة بين المذاهب إلا في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى عندما فنيت المذاهب الصغرى، وبقيت المذاهب الكبرى وحدها في ميدان الخلاف، عند ذلك قويت المنافسة وصار أصحاب المذاهب يستعين بعضهم علي البعض الآخر بالسلطان خصوصًا في المشرق[٢]، فكان الحكام والسلاطين يتدخلون تدخلًا رسميًا لفض المنازعات المذهبية.ففي عام (٤٠٨هـ / ١٠١٧م) أصدر الخليفة العباسي "القادر بالله"(٣٨١: ٤٢٢هـ /٩٩١: ١٠٣٠م) كتابًا ضد المعتزلة[٣]، أمرهم فيه بترك الكلام

[١] – البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٦: ٤٣، ٢١٢، ٢١٣.، ٢٢٥، ٢٢٦.

[٢] – آدام متز: الحضارة الإسلامية، ص٣٥٣.

[٣] – المعتزلة:*هم أتباع "واصل بن عطاء" الذى كان يجلس إلى "الحسن البصرى"، فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر، وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر، فخرج "واصل" عن الفرقتين وقال إن هذا الفاسق لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين، فطرده "الحسن" من مجلسه، فإعتزل عنه فقيل لأتباعه المعتزلة، وهذه الحركة التي جمعت الأوساط العقلية والتي دخلت لهذا فى تعارض مع الآراء الدينية السائدة حينذاك، وفي نهاية تطور هذه الحركة استحق أنصارها اسم المفكرون الأحرار في الإسلام، فبدايات هذا المذهب الإعتزالى تدلنا على وجود نزعة تحرر، فهؤلاء وسعَّوا معين المعرفة الدينية بأن أدخلوا فيها عنصرًا آخر وهو العقل الذى كان حتى ذلك الحين مبعدًا بشدة عن هذه الناحية.** وللمعتزلة ست فرق: الفرقة الأولي هي الحسنية، وهم المنتسبون علي زعمهم إلي "الحسن البصري"، والثانية الهذيلية أصحاب "أبي الهذيل العلاف، والثالثة النظامية أصحاب "إبراهيم بن سيار النظام"، والرابعة المعمرية أصحاب "معمر بن عباد"، والخامسة البشرية المنسوبة إلي "بشر بن المعتمر"، والسادسة الجاحظية أصحاب "عمرو بن بحر الجاحظ" ***. وكان = =الغالب عليهم حب المناظرة والاختلاف، فنجد كل شيخ منهم يعارض سائر الشيوخ ويناقضهم، غير أن المعتزلة بالرغم من كثرة ما بينهم من خلاف يتفقون بوجه عام على أصول خمسة من اعتقدها كان معتزليا، وهى: القول بالتوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والنهي عن المنكر، علي أن أسوأ ما تورط فيه المعتزلة القول بخلق القرآن وتنكيلهم بخصومهم.

والتدريس والمناظرة في الاعتزال والمقالات المخالفة للإسلام وامتثل السلطان "محمود" لأمر خليفة المسلمين واستن بسنته في قتل المخالفين ونفيهم ولعنهم علي المنابر[١].

كان المذهبان الحنفى[٢] والشافعى[٣] هما الغالبان في منطقة نفوذ الدولة الغزنوية، وكان التنافس بينهما شديد ولكن الغلبة كانت للمذهب الحنفى، فكانت المناصب الدينية

*رشيد حميد الجميلى: حركة الترجمة في المشرق الإسلامى، ص٣٦٤.**الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٢٤.

***الهجويرى: كشف المحجوب، ص١٩٦.

[١]-ابن العماد:شذرات الذهب، ج٣، ص١٨٦.ابن الجوزى:المنتظم، ج٧، ص٢٨٧.الذهبى:العبر، ج٢، ص ٢١٥.

[٢]- مؤسس المذهب الحنفي هو* "أبو حنيفة النعمان ثابت بن زوطي" (١٥٠:٨٠هـ /٦٩٩ م: ٧٦٧م) الإما م الأعظم وفقيه العراق والذي كان يفضل فى الفقه استعمال الرأى على الحديث.** ويمثل هذا المذهب مذهب التسامح الدينى في دراسة العلوم العقلية حتى نستطيع أن نصرح بأن المذهب الحنفى من أعظم الأسباب فى تقدم الفلسفة عند المسلمين.

*عبد العزيز ولى الله الدهلوى: بستان المحدثين فى بيان كتب الحديث وأصحابها الغر الميامين، بيروت، دار الغرب الإسلامى ،٢٠٠٢م ،ص٦٥. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٣، ص٢٣٥.روم لاندو:الإسلام والعرب ،بيروت ،ترجمة منير البعلبكى ،١٩٦٢م ، ص١٩٢.

** مصطفي جواد: الثقافة العقلية والحالة الاجتماعية في عصر الرئيس "أبى على بن سينا"، مجلة المجمع العلمى العرقى، المجلد الرابع، ج٢، ١٩٥٦م، ص٥١١.

[٣]- مؤسس المذهب الشافعى هو الإمام "محمد بن إدريس الشافعي" (٢٠٤:١٥٠هـ/٧٦٧م: ٨١٩ م)، ومدرسة الشافعي تتوسط مدرستي الحديث والرأى، واستطاع الشافعى أن يضع للفقهاء أصولا للاستنباط وقواعد للاستدلال.عبد الوهاب الشعرانى: الطبقات الكبرى ،ج١، مصر، المطبعة العامرة الشرفية،١٣١٥ هـ ،ص٤٣. بروكلمان: المرجع نفسه والجزء، ص٢٩٣. عبد المنعم الحنفى: موسوعة الفرق، ص٢٥٤، ٢٥٥.محمد بن حسين الجيزانى: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، السعودية، دار ابن الجوزى، ١٩٩٦م، ص٢٧.

والقضائية حكرًا علي أصحاب المذهب الحنفى[١]. وكان من المنطقى أن يتجه الغزنويون إلي المذهب الشافعي تمشيًا مع ميل الأتراك عامة إلي المذاهب التي تعتمد أكثر علي الأحاديث، ولأن السلطان "محمود" كان شديد الولع بعلم الحديث ودراسته[٢]، ولكن ما حدث هو العكس، فقد كان الغزنويون يتبعون المذهب الحنفى الذي يحكم العقل في المشكلات الدينية، ويقول بالرأي والقياس في الأحكام، وقد عبر "البستى"عن مدي تمسك الغزنويين بمذهب "أبي حنيفة" وحده، فقال: **الفقه فقه أبى حنيفة وحده....**[٣]

ظل هذا المذهب يحظي برعاية واهتمام السلطان "محمود"، وحرص علي رعاية أتباعه وتكريم رجاله، ومن هؤلاء أسرة "التبانيِّن"[٤]، فقد قال للخواجه "علي ميكائيل" سنة(٤٠٢هـ / ١٠١١م): "إن التبَّانيين وتلامذتهم هم من أصدق أتباع مذهب "أبي حنيفة" ولايمكن الطعن فيهم بأى حال، والأن وقد توفى أبو صالح فإذا بلغت نيسابور فأسأل عمن بقي من التبانين وأيهم يليق "بغزنة" وبمجلسنا فأشملهم بعطفك وعدهم برعايتنا وحسن اصطناعنا ومعروفنا"[٥] وقد قرب السلطان إليه الكثير من أفراد هذه الأسرة، ومنهم "أبو صادق التباني" و"أبو طاهر التبانى" وغيرهما[٦]. وقد استمر هذا الاهتمام في عهد السلطان "مسعود"، فقد قدم القاضى "أبو محمد الناصحى" كتابًا للسلطان "مسعود" فى الفقه الحنفى.

---

[١]- بدر عبد الرحمن:رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، ص١٠١.استاد خليلى:سلطنت غزنويان، ص١٤٧.

[٢]- الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٤٨٦، ٤٨٧.

[٣]- العتبى: تاريخ اليميني، ج٢، ص٣١٠.عبد العظيم رضايى:تاريخ ده هزار ساله إيران ،ج٣ ،ص٣٧.

[٤]- تنتمي أسرة التبانيين إلى الإمام " أبى العباس التبانى " الذى كان من تلاميذ الإمام أبى حنيفة، والقاضي "أبو يوسف"، وكان "أبو صالح التبانى" مؤدب السلطان "مسعود" والسلطان "محمد" ابني السلطان "محمود الغزنوي". (البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢١٣، ٢١٤)

[٥]- البيهقى: المصدر نفسه، ص٢٢٥.

[٦]- البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢١٣، ٢٢٥.

وبالرغم من ذلك كان المذهب الشافعي يعيش جنبًا إلي جنب مع المذهب الحنفي، وإن كان دونه في الاهتمام، وكان رجاله ينعمون بتقدير السلاطين[١].

أنجبت "غزنة" عددًا كبيرًا من علماء كلا المذهبين الحنفى والشافعى، وكان لهم مؤلفات عديدة، وهي لا شك ثروة ثقافية لها شأنها في بناء الفكر الإسلامى.

أهم علماء المذهب الحنفى:

يعد السلطان "محمود الغزنوي" من أهم فقهاء المذهب الحنفي، فقد برع السلطان "محمود" في الفقه والخلاف وصار معدودًا من العلماء، وصنف كتابًا في الفقه الحنفي قبل توليه السلطة، وهو كتاب "التفريد على مذهب أبى حنيفة"، وهو غاية في الجودة وكثرة المسائل لعله في نحو ستين ألف مسألة[٢].

الفقيه "أبو صالح التباني" من أهم فقهاء أسرة التبانيين، أخذه السلطان "محمود" معه من نيسابور إلى "غزنة "عام(٣٨٥هـ / ٩٩٥م) ليشتغل بتدريس الفقه الحنفى فى مدرسة "باب بستان"، وتخرج علي يديه الكثيرون، وقد بلغت مكانته العالية لدى السلطان "محمود" أنه عند موته عام(٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)عزم علي أن يقوم بمأتمه ولكنه تراجع عن ذلك حفاظًا على هيبته، وأسند ذلك إلي وزيره الخواجة" أبى العباس الإسفراييني"[٣].

قاضى القضاة وإمام الإسلام "أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحى" وهو شيخ الحنفية في عصره (ت٤٤٧هـ /١٠٥٥م) روى الحديث عن "بشر بن أحمد الإسفراينى" والحاكم "أبي محمد الحافظ"، ولى القضاء للسلطان "محمود " ببخاري، وكان له مجلس للتدريس والفتوى فى غزنة، وله عدة تصانيف منها كتاب مختصر في الوقوف، ذكر أنه اختصره من كتاب الخصاف "لهلال بن يحى"، وله طريقة حسنة في الفقه مرضية عند

---

[١]- عبد الحميد الرفاعى: الدولة الغزنوية، ص١٧٣.

[٢]- القرشى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص٤٣٨. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢٧٣.

[٣]- البيهقى: المصدر نفسه، ص٢١٣، ٢١٤.

الفقهاء من أصحابه، كان ورعًا مجتهدًا ثقة، روى عنه "أبو عبد الله الفارسى" وغيره[١]، وصنف الكتاب "المسعودى في الفقه الحنفى"، وقدمه للسلطان "مسعود بن محمود "[٢].

القاضى "أبو العلاء صاعد بن محمد" وهو من أبرز قضاة المذهب الحنفى، ولد فى إحدى نواحى نيسابور سنة (٣٤٣هـ / ٩٥٤م)، انتهت إليه رياسة أصحاب الحنفية بخراسان فى عهد السلطان "مسعود" كما كان أستاذًا له، وله كتاب يسمى "الاعتقاد"[٣].

"عبد الرب بن منصور بن إسماعيل بن إبراهيم" توفي في حدود الخمسمائة، شرح "القدوري" في مجلدين، وسماه "ملتمس الإخوان"[٤].

"أبو المكارم أحمشاذ بن عبد السلام بن محمود الغزنوى الحنفي "(ت٥٥٢هـ /١١٥٧م)أحد كبار العلماء، عده علماء عصره بحر يتموج وفجر يتبلج وفقيه مدره، كان عارفًا بتفسير كتاب الله تعالى، وكان يعقد مجالس الوعظ بجامع أصبهان كل يوم أربعاء، يتكلم فيها فى التوحيد[٥].

"أبو الفضل محمد بن يوسف بن علي الإمام شهاب الدين الغزنوى المقرئ الحنفي الفقيه"، حدث ببغداد والشام ومصر، وحدث عنه جماعة، درس المذهب بمسجد الغزنوي المعروف به.[٦] سمع فى صغره من "أبى بكر قاضى المارستان" ،و"أبى منصور بن خيرون"، وقرأ الرويات على "أبى محمد سبط الخياط" و"أبى الكرم الشهرزورى" ،قرأ عليه

---

[١]- القرشى: الجواهر المضيئة، ج١، ص٢٧٤، ٢٧٥.

[٢]- عبد الحميد الرفاعى: المرجع نفسه، ص٣٠٣. بدر عبد الرحمن محمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامى، ص٣٦٢.

[٣]- عبد الحميد الرفاعى:المرجع نفسه، ص٣٠٣، ٣٠٤. سامية مصطفى مسعد: دور سلاطين غزنة فى نشر الإسلام فى الهند، ص١٨٢.

[٤]- ابن قطلوبغا: تاج التراجم فى طبقات الحنفية، ص٣٧.

[٥]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٨، ص٣٣٩. القرشى: الجواهر المضيئة، ج١، ص٣٥٩.الصفدى: الوافى بالوفيات ،ج٨، ص٢٠١.

[٦]- ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٣٤٣. ابن الجزرى: غاية النهاية، ج٢، ٢٨٦.

العلاَّمتان "أبو الحسن السخاوى" و"أبو عمرو بن الحاجب" و "الكمال الضرير" والحافظان "ابن خليل و الضياء"، توفي سنة (٥٥٩هـ /١١٦٣م) [١].

أهم علماء المذهب الشافعي:

"أبو علي ذاهر بن أحمد السرخسى" كان أحد الأئمة النابهين، انتشر علمه في "غزنة" و"خراسان"، وكان من المجاهدين في سبيل الله، توفي سنة(٣٨٩هـ / ٩٩٨م)[٢]. "أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراينى(ت٤٠٦هـ /١٠١٥م)، من أهم فقهاء المذهب الشافعي في عصره، انتهت إليه رياسة مذهب الشافعى في زمانه، كان يتوسط بين الخليفة "القادر بالله" (٣٨١: ٤٢٢هـ /٩٩١: ١٠٣٠م) وبين السلطان "محمود"[٣].كان أحد أئمة وقته، وقيل عنه أنه أحد الذين بعثوا على رأس كل مائة عام ليجدد لهذه الأمة دينها، وكان يحضر مجلسه حوالي سبعمائة فقيه، وله تعليقه[٤] في نحو خمسين مجلدًا ،وله في المذهب "التعليقة الكبرى" و "كتاب البستان"[٥].

---

[١]- الداودى: طبقات المفسرين ،ج٢ ،ص٢٩١ ،٢٩٢.

[٢]- سامية مصطفى محمد: دور سلاطين غزنة فى نشر الإسلام في الهند، ص١٨٦.

[٣]- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٣٩.

[٤]- كان الفعل علق عندما يستعمل معه حرف الجر "على" أو "عن" يقال عن الطالب الذى يدون ملاحظات شيخه في درس الفقه، وكان دفتر الملاحظات "يسمي" التعليقة"، وهو اصطلاح كان يستعمل أيضًا للدلالة علي ملاحظات المدرس نفسه على الدرس ومنهج تدريسه، أما الفعل "يعلق" فيستعمل بحسب النص الذى ورد فيه بمعنى "يسجل، يدون" يكتب ملاحظات، يدون محضرًا، "، أما عبارة "له عنه تعليقه" إشارة إلى أن الفقيه عندما كان طالبًا كتب تعليقًا بسند من أستاذه في الفقه، مبنيًا على أساس دروسه أو كتبه، وكانت كتابة التعليق جزءًا أساسيًا من تعليم الفقه. وعلى ذلك تكون التعليقة من إنتاج الأستاذ أو الطالب، ففى حالة الأستاذ تكون عبارة عن مجموعة من مذكرات الدروس التى يعدها لاستعماله الشخصى فى تدريس مقرره الدراسى، أو قد تكون مصنفًا كاملًا يمكن أن يستعمله غيره من مدرسى الفقه، أما إذا كانت من إنتاج الطالب فهى عبارة عن مجموعة من الملاحظات التى دونها من دروس أستاذه، فيدرسها ثم يعرضها على أستاذه لكى يمتحنه فيها بغرض ترقيته إلي مرتبة أعلى، وقد تنتهى إلي مشروع تأليف يستهدف فيه الطالب إخراج مصنفًا كاملًا يكون بمثابة أول إصدار له. جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١٣١، ١٣٢.

[٥]- الصفدى: المصدر نفسه ،ج٧،ص٢٣٤.

obeikandl.com

"أحمد بن محمد المتكورى" الفقيه الشافعى، كان من مشاهير علماء عصره، لذلك أرسله السلطان "مسعود بن محمود" سنة(٤٢٣هـ / ١٠٣١م) إلي الخليفة العباسى "القائم بأمر الله"(٤٦٧:٤٢٢هـ/ ١٠٣٠: ١٠٧٤م) معزيًا له في والده الخليفة "القادر بالله"[١].

"أبو سريج إسماعيل بن أحمد بن الحسن الشاشى المعروف بالنقاضي "كان من العلماء الزهاد السائرين في الآفاق على سيرة السلف ،تفقه علي الشيخ أبي خلف الطبرى وطبقته، صنف تعليقه عن "أبي خلف" وفرغ منها في مدينة "غزنة" سنة(٤٣٤هـ /١٠٤٢م)[٢].

الإمام العلامة "أبو بكر محمد بن علي بن حامد الشاشي "(ت٤٨٥هـ /١٠٩٢م) شيخ الشافعية، صاحب الطريقة المشهورة في الجدل، تفقه ببلاده علي "أبى بكر السنجى" ثم سافر إلي مدينة "غزنة"، فارتفع شأنه فيها وتفقه عليه العديد من أهل "غزنة"، وصنف بها العديد من المؤلفات ثم استدعاه الوزير "نظام الملك" للتدريس بنظامية هراة[٣]، تفقه عليه في "غزنة" "الفضل بن أحمد بن محمد بن أبى وقاص الزهرى المعروف بالبصرى"، وأقام مدة في مدينة "غزنة" ثم سافر إلي مصر[٤].

"أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الروياني" الفقيه الشافعى (ت٥٠٢هـ / ١١٠٨م)، من رؤوس الأفاضل في أيامه مذهبًا وأصولًا وخلافًا، ذهب إلي "غزنة" ونيسابور، ولقي القبول التام في تلك الديار، صنف العديد من الكتب من أهمها "بحر المذهب" وهو من أطول كتب الشافعية، وكتاب "مناصيص الإمام الشافعى"،

---

[١]- ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢٠٥.

[٢]- الأسنوى: طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، ج٢، بغداد، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ص٢٧٤.

[٣]- السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص١٩٠. الذهبى: العبر، ج٢، ص٣٤٩، ٣٥٠.

[٤]- السبكى: المصدر نفسه، ج٥، ص٣٠٤. الأسنوى: المصدر نفسه والجزء،ص١٤.

وكتاب "الكافى"، وكتاب "حلية المؤمن"، وصنف في الأصول والخلاف، وروى الحديث عن خلق كثير في بلاد متفرقة[١].

"أبو الفتح أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل الميهنى" (ت ٥٢٧هـ /١١٣٢م) كان إمامًا مشهورًا في الفقه والخلاف، وله في الخلاف تعليقه مشهورة، تفقه "بمرو" ورحل إلي مدينة "غزنة"، واشتهر بها وشاع فضله، وتفقه عليه العديد من أبناء مدينة "غزنة"، وولي نظامية بغداد مرتين[٢]. تميز بحده القريحة والذكاء والفطنة ،تفقه على أبى المظفر السمعانى، وأخذ الأصول عن أبى عبد الله الغزاوى ،وقد وجه رسولًا من جهة السلطان إلى مرو ثم توجه إلى بغداد ثم إلى همذان وتوفى فيها [٣].

"أبو الفتوح عبد الواحد بن الحسن بن محمد الباقرحى" (ت ٥٥٣هـ /١١٥٨م)، فقيه أديب من أولاد المحدثين، تفقه علي "الكيا الهراسي" ببغداد، وعلي "أبى حامد الغزالى" و"أبى نصر القشيرى" بنيسابور، درس بنظامية بغداد إلي أن جاء "أسعد الميهنى" فعزل، واستقر مكانه فى النظامية، ثم توجه إلي "غزنة" وتوفى بها[٤]. بات ليلة مفكرًا فى قلة حظه من الدنيا، فرأى قائلًا يقول له اسمع يا شيخ:.

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والطائفين ومُنَزِّل القـــرآن

ما العيش فى المال الكثير وجمعه بل فى الكفاف وصحة الأبدان[٥]

---

[١]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٩٩. الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٥، ص٦٣. ابن قاضى شهبه: طبقات الفقهاء الشافعية، ج١، ص٢٨٨.

[٢]- السبكى:المصدر نفسه، ج٧، ص٤٢. ابن خلكان:المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٧، ٢٠٨. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٨٠. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٦٣٣..

[٣]- ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعية ،ج٢ ،ص٥٦٦.

[٤]- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص٢٠٤، ٢٠٥. الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٨، ص١٢٥.

[٥]- الأسنوى: طبقات الشافعية ،ج١،ص١٢٤.

"أحمد بن الحسن بن علي بن سدار بن يوسف بن يعقوب الدماوندى الباركنى اليوسفى" فقيهًا عالمًا فاضلًا زاهدًا ورعًا كثير الحفظ متواضعًا، ذكر أنه من أولاد القاضى "أبى يوسف" وله بيت مشهور بالعراق، سافر إلي "غزنة" والهند وأقام بها مدة، وصحب كبار الفقهاء، وكان من جملة شيوخ "السمعانى"، وتوفى في "مرو" سنة(٥٥٩هـ /١١٦٣م)[١].

أتباع المذهب المالكى:

ومن أهم من زار "غزنة" من علماء المالكية "أبو عبد الله محمد بن أبى الفرج المالكى" المعروف "بالزكى المغربى" من أهل صقلية، وله رحلة شملت العراق وخراسان و"غزنة" والهند، توفي بأصبهان سنة(٥١٠هـ /١١١٦م)[٢].

علم أصول الفقه

هو القواعد التي يتوصل بها المجتهد إلي استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من الأدلة الإجمالية اليقينية (والأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع)[٣]. وعَرَّفه البعض بأن أصل كل شئ هو ما يستند تحقيق ذلك الشئ إليه، فأصول الفقه هي أدلة الفقه وجهات دلالاتها علي الأحكام الشرعية، وكيفية حال المستدل بها من جهة الجملة لا من جهة التفصيل بخلاف الأدلة الخاصة المستعملة في أحاد المسائل الخاصة[٤]، وقد عده "ابن خلدون" من أعظم

[١]- القرشى: الجواهر المضيئة، ج١، ص١٦٠.ابن قاضى شهبه: طبقات الفقهاء الشافعية،ج١ ،ص٢٥٤.

[٢]- ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص١٩٠.

[٣]- الغزالى: المستصفي من علم الأصول، ج١، ص٣٦. ابن رشيق: لباب المحصول فى علم الأصول، تحقيق محمد غزالى عمر جابى، ج١، الإمارات، ٢٠٠١ م ،ص١٩٣. طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج٢، ص٥٣.

[٤]- الآمدى: الإحكام في أصول الأحكام، ج١، ص٨. عبد القادر الدمشقى: نزهة الخاطر العاطر ،شرح كتاب روضة الناظر وجنة المناظر فى أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لشيخ الإسلام موفق الدين أبى محمد المقدسى ،ج١ ،(د. ت)، ص٢٠ ،٢١. وبذلك هناك فرق بين الفقه وأصوله، فالأصول هى الوقوف على أدلة الأحكام من كتاب وسنة وإجماع وقياس وغير ذلك، وعلى معرفة وجوه دلالة ذلك

العلوم الشرعية وأجلها قدرًا وأكثرها فائدة[١]. وعلم الأصول مستمد من عدة علوم متفرقة منها:علم الكلام، وعلم اللغة العربية، وعلم الحديث[٢]. وغاية علم الأصول الوصول إلى معرفة الأحكام الشرعية التى هى مناط السعادة الدنيوية والأخروية[٣].

لم يكن علم الأصول مستقلًا عن الفقه في البداية، ومن خلال نمو علم الفقه واتساع أفق التفكير الفقهي أخذت الخيوط العامة والعناصر المشتركة في عملية الاستنباط تبدو وتتكشف وأخذ الممارسون للعمل الفقهى يلاحظون اشتراك عمليات الاستنباط في عناصر عامة لا يمكن استخراج الحكم الشرعى بدونها، وكان ذلك إيذانًا بمولد علم الأصول واتجاه العقلية الفقهية اتجاهًا أصوليًا، فانفصل علم الأصول عن علم الفقه فى البحث والتصنيف[٤].

وأول من دون أصول الفقه هو الإمام "محمد بن إدريس الشافعي"، وصنف فيه كتاب "الرسالة"، والذى تكلم فيه عن الأوامر والنواهى والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس، وقرر أن أدلة الأحكام هى الكتاب والسنة والإجماع ثم القياس على واحد منها[٥].

على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل مثل الأمر للوجوب والنهي للتحريم، بخلاف الفقه فإنه يتعلق بمعرفة الأحكام على وجهها التفصيلى. أمير عبد العزيز: أصول الفقه الإسلامى، ج١، القاهرة، دار السلام للطباعة، ١٩٩٧م، ص٢٥.

[١]- ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٩٦٠.

[٢]- الجوينى: البرهان فى أصول الفقه، ص٨٤. الآمدى: المصدر نفسه، ج١، ص٩.

[٣].الآمدى: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

[٤]- محمد باقر الصدر: دروس فى علم الأصول، ج١، بيروت، ١٩٧٨ م، ص٤٩.عتيق أحمد البستوى: دور العلماء الأحناف فى تدوين أصول الفقه وأهم كتبهم الأصولية، مجلة الدراسات الإسلامية، العددان الأول والثانى، المجلد ٣٧، ٢٠٠٢م، ص١٣٩.

[٥]- حسين حامد حسان: أصول الفقه، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م، ص٢٣، ٢٤. أمير عبد العزيز: أصول الفقه الإسلامى، ج١، ص١٥.

ثم تبعه بالتأليف فى أصول الفقه جماعة من فقهاء الحنفية ونبغوا فى علم أصول الفقه، وتطور بجهودهم وبلغ ذروة كماله وازدهاره فى القرنين الرابع والخامس الهجريين، وقد ظهر في تلك الفترة العديد من المؤلفات الأصولية، ومن علماء "غزنة" في علم الأصول:.

"أبو المعالي عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمدوية الحلواني المروزي (ت٥٣٩هـ / ١١٤٤م) كان فقيهًا فاضلًا توجه إلي "غزنة" وأقام بها مدة فحصل خلال تلك الفترة علم الأصول، ثم رجع إلى مرو وبنى رباطًا للمحدثين، وأوقف فيه كتب كثيرة اشتراها من "غزنة"[١].

"أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوى"(ت ٥٩٣هـ /١١٩٦م) فقيه أصولي حنفي ولد بمدينة "غزنة"، تفقه علي "أحمد بن يوسف الحسيني العلوي"، ذاع صيته حتي بلغ درجة الرياسة في المذهب الحنفى، رحل في طلب العلم، حتي وصل إلي حلب بالشام، وصنف كتب عديدة منها كتاب "روضة اختلاف العلماء"، ومقدمة في الفقه عرفت "بالغزنوية"، وكتاب "فى أصول الفقه"، وكتاب "روضة المتكلمين في أصول الدين"، وكتاب "المنتقي من روضة المتكلمين"، وكتاب "البدايع في الفقه"[٢]. وألف كتاب "روضة الشهاب في بيان الألفاظ النبوية والآداب الشرعية"[٣]. و"أبو حفص عمر بن محمد الغزنوى" وله تقدم في أصول الفقه[٤].

---

[١]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٦، ص٥٠٣.

[٢]- ابن قطلوبغا: تاج التراجم في طبقات الحنفية، ص١٠. طاش كبرى زادة: طبقات الفقهاء، ص١٠٥.على أكبر دهخدا: لغت نامه، ج٢٧، ص٢١٢.

[٣]- بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، القسم الثالث (٥، ٦)، ص٥٥٦.

[٤]- القرشى: الجواهر المضيئة، ج٢، ص٦٦٩.

رابعًا: علم التصوف

تكلم الناس فى تحقيق هذا الاسم كثيرًا، ذلك لأن التصوف لم يكن له في يوم من الأيام طريقة منتظمة محدودة أو معينة من الناحية النظرية أو العملية بل كان له فى كل عصر مفهوم خاص، علي أنه تعرض لتعريف التصوف العشرات من علماء الصوفية أو ممن كتب عنهم، فهناك عدة آراء تدور حول التسمية:.

أولًا: أن التصوف نسبة إلى أهل الصُفَّة، ويقصد بهم الفقراء ممن لا بيوت لهم، والذين كانوا يجلسون علي الصفة، وهي دكة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم "بالمدينة" وينقطعون للعبادة[١]، أو لأن اسمهم قريب من اسم أهل صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصافهم قريبة منهم[٢].

ثانيًا: أن الصوفية ينتسبون إلى الصفاء، وهذه الصفة عرفت عنهم فهم يكونون دائمًا في حالة صفاء قلب لله وإخلاص العبادة، فالصوفى هو أحد خاصة الله الذين طهرالله قلوبهم من مباهج الدنيا[٣].

ثالثًا: أن الصوفية نسبة إلي الصوف، فيقال تصوف فلان أى لبس الصوف، لأن لبس الصوف كان علامة علي الزهد فى الدنيا، وعدم الإغراق فى الترف[١]، ولعل هذا التعريف

---

[١]-الخطيب الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لطه عبد الرؤوف ومصطفى الهوارى ،القاهرة ،١٩٧٨م ،ص١١٠.ناجي معروف: تاريخ الحضارة العربية، ص١٨٩. عمر فروخ: تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون، بيروت، ١٩٦٢م، ص٣٧٧.

[٢]- السبكى: معيد النعم، ص١١٩، ١٢٠.

[٣]- الأصفهانى:حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،ج١، بيروت ،١٩٨٨م ،ص١٧:٢٤.رفعت عبد العظيم محمود: نظرية العشق عند الصوفية الفرس منذ النصف الأول من القرن الخامس الهجرى حتى النصف الأول من القرن السادس الهجرى، رسالة ماجستير، كلية الأداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م، ص٧. رينولد نيكولسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبو العلا العفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٧م، ص٦٦.

هو الأرجح لأن الصوف كان لباس الأنبياء ورمز الأولياء والخاصة كما يظهر من أخبار الصوفية وآثارهم.

ويقول السبكى عن الصوفية: "إنهم أهل الله سبحانه وتعالى وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم وينزل الغيث بدعائهم "[٢].أما "البيرونى" فيعرف الصوفية بقوله "السوفية هم الحكماء، فإن سوف باليونانية الحكمة، وبها سمى الفيلسوف "پيلا سوپا" أى محب الحكمة، ولما ذهب في الإسلام قوم إلي قريب من رأيهم سموا باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكل إلى الصُفة وأنهم أصحابها في عصر النبى صلى الله عليه وسلم، ثم صحف بعد ذلك فصير من صوف التيوس، وعدل أبو الفتح البستى عن ذلك أحسن عدول في قوله:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدمًا وظنوه مشتقًا من الصوف

ولست أنُحَلٌ هذا الاسم غير فتى صافى فصوفى حتى لقب الصوفى[٣]

ومهما يكن من الغموض الذي يحيط بأصل كلمة التصوف، فإن من الظاهر أن استعمالها قد شاع آخر القرن الثانى الهجرى، أى في عصر الانتقال من دور الزهد إلي دور التصوف الحقيقى، وأنها كانت بظهورها علامة على مرحلة خاصة من مراحل تطور التصوف[٤].

كتب "ابن خلدون" فصلًا مهمًا في المقدمة سماه علم التصوف تحدث فيه عن أهمية التصوف ونشأته، وكذا منهجه وقواعده، وقد لخص لنا فى هذا الفصل كل ما سبقه من آراء عند مؤرخى التصوف القدامى إلى جانب موقفه الخاص من الصوفية، فيقول عن علم

---

[١]-ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٩٨٩. ول ديورانت: قصة الحضارة ، ترجمة محمد على أبو درة، ج٢، بيروت، دار الجيل،(د.ت)، ص٢١٥. سليم نيسارى: تاريخ أدبيات إيران بعد إز إسلام، ص٥١.

[٢].السبكى: المصدر نفسه، ص١٢٠.

[٣]- البيرونى: تحقيق ما للهند، ص٢٧، ٢٨.

[٤]- رينولد نيكلسون: المرجع نفسه، ص٦٨.

التصوف: "هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية، وأصلها العكوف علي العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًا في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثانى الهجري وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"[١].

أما التصوف من وجهة النظر الصوفية فهو ذلك العلم اللامحدود والذى تعد كافة العلوم روافد تصب فيه، وأهم أهداف الصوفية هو الخلاص من النفس ونسيانها ومحوها في حب الحق سبحانه وعشقه وصحبته[٢]، وعلى ذلك فليس للتصوف تعريف واحد، فكل صوفى يضع للتصوف تعريفًا يتفق مع الاتجاه الذى يتجهه هو ومع الدرجة التى وصل إليها فى ذلك الاتجاه.

وللصوفية عدة طرق مكونة من المقامات السبع وهى التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا، وهذه المقامات هى جماع التربية الخلقية والزهدية للصوفى، وهى مكاسب تحصل ببذل المجهود ومكايدة الهوى ووقوفه دون تحقيق رغبات النفس وشهوتها والحيلولة بينها وبين رغباتها[٣]، أى أن الصوفية حركة دينية أخذت نزعة روحية تميل بالإنسان من العالم المادى إلى العالم الروحى، فهم دون شك يسيرون في صدق وأمانة

---

[١]- ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٩٨٩.

[٢]- رفعت عبد العظيم: نظرية العشق عند الصوفية الفرس، ص٨. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٨٥.

[٣]- حسن الشناوى: التصوف الإسلامى مبدؤه وهدفه ونتيجته، مجلة التصوف الإسلامى، العدد ٢٧٣، ديسمبر ٢٠٠١م، ص٢٨.

باحثين عن الحقيقة متبعين أسلوب العبادة ونهجًا من الرياضة[١] كى يصلوا من خلالها إلى الحب الإلهى[٢].

مر التصوف كحركة دينية بمراحل مختلفة، فكان الزهد هو المرحلة الأولى في القرنين الأول والثانى الهجريين، وكان أهم صفاته الإحساس الدينى العميق والشعور الغامر بالضعف الإنسانى والخوف الشديد من الله، والتفويض التام له والخضوع لإرادته، كما لم يكن للصوفية إلي ذلك العهد حياة زهد منظمة داخل الزوايا والأربطة وما إليهما [٣].

وفى أواخر القرن الثانى الهجرى تحول الزهد إلى التصوف ونشأ في الإسلام علم جديد مقابل لعلم الفقه، أو بعبارة أدق انقسم علم الشريعة إلى قسمين: علم الفقه الذى يبحث فى الأحكام التى تجرى على الجوارح.وعلم التصوف:الذي يبحث في باطن الشريعة وتفهم أسرارها والنظر إلى العبادات، وأثرها في النفوس وما يترتب عليها من أحوال نفسية وفوائد روحية [٤].

أما القرنين الثالث والرابع الهجريين فيمثلان العصر الذهبى للتصوف الإسلامى، فقد وصل التصوف فيهما إلى مرحلة النضج فأضحت الوسائل والمفاهيم الصوفية فيهما أكثر وضوحًا، وذلك لأن العناصر الجديدة التى بدأت تتسرب إلى الإسلام منذ القرن الثالث الهجرى أخذت تنفذ إلى التصوف وتتفاعل معه، وكان نتيجة هذا التفاعل أن تطور مفهوم

---

[١]- الرياضة: مصطلح صوفى استعمله الصوفية مرادفًا للفظ التربية، وهى عبارة عن تهذيب النفس وتربيتها وتأديبها بقصد الوصول بها إلى مكارم الأخلاق، وهى أهم وسيلة من وسائل التربية لدى الصوفية، وتتم عن طريق ملازمة شيخ من المشايخ للتأدب بأدبه، والتدريب العملى على يديه. أحمد عرفات القاضى: الفكر التربوى عند المسلمين، ص٩٦.

[٢]- محمد العمادى: خراسان فى العصر الغزنوى، ص٢٧٩.

[٣]- ابن القيسرانى: صفوة التصوف، تحقيق غادة المقدم عدرة، دار المنتخب العربى، ١٩٩٥م، ص٥٧. رينولد نيكلسون: فى التصوف الإسلامى وتاريخه، ص٦٩.

[٤]- ابن خلدون: المصدر نفسه والجزء، ص٩٩١. الكاشانى: اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد الخالق محمود، ط٢، القاهرة، دارالمعارف، ١٩٨٤م، ص٩.

التصوف وأصبح شيئًا جديدًا لا يقف عند حد الرياضة والمجاهدة، ولا يقنع فيه الإنسان بالمشاهدة إنما تجاوز هذا كله إلى غاية أسمى هى فناء الإنسان عن نفسه وبقاؤه بربه واتحاده به[١].

وتعد تلك المرحلة من أخطر المراحل التى مر بها التصوف، والتى يمكن أن نسميها بمرحلة التصوف الفلسفى، وهو التصوف الذى اتجه فيه أصحابه إلى المزج بين أذواقهم الصوفية وأنظارهم العقلية، وقد تأثروا فى ذلك بالتيارات والفلسفات الدخيلة على الإسلام، كالهندية واليونانية والفارسية، ودخلت مفاهيم باطنية من معانى الحلول والاتحاد والوحدة[٢]. وبهذا يظهر أن التصوف الذى نشأ نشأة إسلامية فى البداية، لم يسلم من التأثيرات الخارجية.

والمتأمل فى أقوال صوفية تلك الفترة يلمس تحولًا فكريًا طرأ على مفهوم التصوف، وظهرت فى أقوالهم أفكارًا جديدة واصطلاحات وتعبيرات خاصة تتعلق بالجانب النظري للتصوف من تحديد معالم الطريق وترتيب المقامات والأحوال. وقد شهد القرن الثالث الهجري بداية الصراع بين الفقهاء والصوفية، ويرجع النزاع بينهما إلى أن أحكام الشريعة فى أول عهد الإسلام، كانت تؤخذ بالرواية لا فرق بين عبادات واعتقادات أو معاملات، ثم لم يلبث المسلمون أن بدأوا يناقشون مسائل الدين ويتدارسونها، ويبحثون عن علل الأحكام علي نمط علمى، ويدونون ما يتناقشون فيه، وهنا نشأ علم الفقه وأقبل الناس عليه، حتي أن كثيرًا من المسلمين كانوا يظنون أن الاشتغال بهذا العلم والعمل به هو الغاية من الدين، ثم ظهر أمر الصوفية وكان لهم رأيهم الخاص فيما يتعلق بالمسائل الدينية والأحكام الشرعية، فكانوا يرون أن الدين أصبح في عرف الفقهاء جملة من رسوم

---

[١]- الهجويرى: كشف المحجوب، ص٢٨، ٢٩.

[٢]- أبو سعد أحمد المالينى: كتاب الأربعين فى شيوخ الصوفية، تحقيق عامر حسن صبرى، بيروت، دار البشائر، ١٩٩٧م، ص٢٢.

وأوضاع لا حياة ولا روحانية فيها، وأن الكمال الديني يكمن في البحث عن المعاني الباطنة للأحكام بالإضافة إلى معانيها الظاهرية [١].

بذلك انقسم علم الشريعة إلي قسمين ظاهر وباطن، وأختص الفقهاء بالظاهر والصوفية بالباطن، وأصبح لكل طائفة من الطائفتين وجهة نظرها الخاصة في ماهية الدين[٢]، فكان من الطبيعى حدوث مشاحنات كثيرة بين الفقهاء والصوفية لاختلاف وجهتى نظرهما، فأعلن الفقهاء العداء للصوفية، فتصدوا لبعضهم بالمعارضة، واتهموا البعض الآخر بالكفر والزندقة، وهنا قام الصوفية بالرد على الفقهاء ورفض آرائهم[٣].

وقد أوردت لنا المصادر العديد من الاضطهادات التى لاقاها الصوفية على أيدى العلماء والفقهاء، فكان من فقهاء "غزنة" من ينكرون الصوفية ويدعوهم بالجهل، ومنهم القاضى "أبو العلا صاعد" والذى كان يظهر العداء لجميع الصوفية، كذلك "أبو إسحاق الكرامى" زعيم الكرامية، والذى لم يكن يعتقد فى هذه الطائفة، ويكن لها العداء[٤].كذلك

---

[١] – الهجويرى: المصدر نفسه، ص ٢٩ ،٣٠.

[٢] – محمد مصطفي حلمى: الخصائص الأخلاقية للرياضيات والأذوق الصوفية، مجلد معهد الدراسات الإسلامية، العدد١، ١٩٥٨م، ص١٩٧.

[٣] – محمد جلال شرف: التصوف الإسلامى ومدارسه، ص٢٣.(كان أهل السنة يعلنون العداء للصوفية المتطرفة وخصوصًا يوم أدى المذهب الصوفى بكثير من أصحابه إلى الاستغناء عن الشرائع لزعمهم أنهم يتلقون الأوامر والنواهى من الله مباشرة بعد اتحادهم به ومعرفته بالكشف، كذلك نبذتهم المعتزلة لادعائهم الاتحاد بالله، ولا يتم اتحاد واتصال وحلول إلا فى الأجساد ذات الصفات، واعتقاد الصوفيين يؤدى إلي التشبيه، وناهضهم معظم الشيعة مرددين "لا رهبانية في الإسلام"وذلك يوم بدأت الصوفية تؤلف جماعات فى الزوايا كالرهبان وتفرض لبس الصوف، وأجمع المسلمون على تكفير أصحاب الشعوذات والمجاهدات المصطنعة ودعاة الحلول). عبده الشمالى: دراسات فى تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية، ص٤٧٧.

[٤] – محمد بن المنور: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد، ترجمة إسعاد عبد الهادى قنديل، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت)، ص٨٩.

الوزير "أبو على حسن بن محمد" المعروف باسم "حسنك ميكال" وزير السلطان "محمود الغزنوى"، فإنه لم يكن يألف أو يعتقد فى مشايخ الصوفية وأرباب الرياضة[١].

كان من نتائج هذا التعصب أن أخذ كبار الصوفية يتمسكون أكثر من ذى قبل بالقرآن والحديث والأدلة العقلية، وانشغلوا بالتأليف والتصنيف، ونهضوا للدفاع عن أنفسهم بسلاح الكتاب، وبذلك انتشرت الصوفية في جميع أنحاء العالم الإسلامى، وأخذوا ينظمون أنفسهم في جماعات وفرق لها طرقها الخاصة وشيوخها وسالكوها، وانتشرت المدارس الصوفية والتي كان لكل منها طابع معين، وقد أحصى "الهجويرى" الفرق الصوفية أو المدارس الصوفية والتى وجدت فى تلك الفترة بحوالى اثنتى عشرة فرقة[٢].

أما بالنسبة لصوفية القرنين الخامس والسادس الهجريين، فقد ظهر فى تلك الفترة اتجاهان متميزان، أحدهما سنى يتقيد أصحابه فيه بالكتاب والسنة، والآخر شبه فلسفى ينزع أصحابه فيه إلى الشطحات، وينطلقون من حال الفناء إلى إعلان الإتحاد والحلول، وقد ساد الاتجاه الأول فى القرن الخامس الهجرى بينما ساد الاتجاه الثانى فى القرن السادس الهجرى[٣].

ففى القرن الخامس الهجرى لم يكن للصوفية صلة بالاصطلاحات الفلسفية والكلامية، ولم يدخل كثير من الأبحاث المتعلقة بالفلسفة وعلم الكلام حوزة التصوف، فعقائد الصوفية وآرائهم لم تستند حتى ذلك الوقت إلا إلى القرآن والحديث وشهود أولياء الصوفية وروايات المشايخ، أخذت تتجه فى القرن السادس إلى التعليلات الفلسفية والتحقيقات الكلامية[٤].

---

[١]- ميرخواند: روضة الصفا، ص١٥٩.

[٢]- الهجويرى: كشف المحجوب، ص٣٤٣.

[٣]- الكاشانى: اصطلاحات الصوفية، ص٩.

[٤]- قاسم غنى: تاريخ التصوف فى الإسلام، ترجمة صادق نشأت، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٧٠م، ص٦٨٩، ٦٩٠.

وأهم ما يميز صوفية القرن الخامس الهجرى أنهم اختاروا العزلة والبعد عن المجادلات المذهبية والمخاصمات التى كانت تدور رحاها بين الفرق المختلفة، وأنهمكوا فى أبحاثهم والتى تميزت بالتنوع والنضوج[١]، لذلك كانوا موضعًا لاحترام وتكريم الملوك والأمراء ومن مجموع الحكايات التى وصلتنا خلال تواريخ ذلك الوقت من قبيل ذهاب السلطان "محمود الغزنوى "(٣٨٨:٤٢١هـ / ٩٩٨:١٠٣٠م) إبان سيره إلى مدينة "الرى" إلى خانقاه الشيخ "أبى الحسن الخرقانى "(ت٤٢٥هـ /١٠٣٣م)شيخ عصره، والذى اشتهر بكراماته الظاهرة[٢].

وهذا السلطان "مودود بن مسعود"(٤٣٢: ٤٤١هـ / ١٠٤٨: ١٠٤٠م) عندما أرسل إليه الشيخ "أبى سعيد بن أبى الخير" أحد مريديه، وطلب منه إرسال مبلغ وقدره ثلاثة آلاف دينار ليسدد به دين قد اقترضه من أجل الصوفية، فما كان من السلطان "مودود" إلا وأرسل إليه مبلغ خمسة آلاف دينار[٣].

ويرجع السبب فى اهتمام وعناية معظم الطبقات حتى الأمراء والسلاطين بالصوفية، هو أن بعض علماء الدين والفقهاء والمحدثين فى ذلك العصر قد انشغلوا بالشئون السياسية والإدارية، أى بتقليدهم مناصب القضاء والتدريس وتولى أمور الأوقاف والوعظ والحسبة والإمامة، مما كان يدخلهم فى زمرة موظفى الدواوين، بينما الصوفية كانوا فى منأى عن ذلك وعدم اهتمامهم بأصحاب الحكم والجاه، أضفى عليهم ذلك أهمية خاصة وأظهرهم بمظهر العظمة المحاطة بالأسرار الغامضة، بالإضافة إلى ذلك فإنهم لم

---

[١]- المرجع السابق، ص٦٦٧.

[٢]- خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٣٧. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٤٢٢. السمعانى: الأنساب، ج١، ص٣٤٧. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص١٤٣.

[٣]- محمد بن المنور: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد، ص٤٠٤: ٤٠٧.

يتورطوا فى المنازعات والمجادلات التي كانت تدور بين المذاهب المختلفة بل كانوا يعاملون كافة الفرق بسلام ووئام وكانوا يتوددون إلى الجميع على السواء[١].

كان التصوف هو المصب الذى التقت فيه معظم روافد الفكر فى هذه الفترة فوجدنا بين صفوف الصوفية من هو سلفى يلتزم بظاهر النص، ولا يجنح إلى التأويل، كما وجد فى صفوفهم كثيرًا من السنة الذين اعتمدوا على العقل والنقل، كما وجد بين صفوفهم من ينتمى إلى الشيعة، ذلك لأن التصوف لم يكن يمثل فرقة أو مذهب بعينه، ومن ثم لم يكن من العجيب أن يتسع لمعظم المذاهب والفرق لأنه نزعة روحية سلوكية لا تعرف حدود مكانية ولا تختص بها فرقة مذهبية دون أخرى[٢].

حفلت مدينة "غزنة" بالعديد من الشخصيات الصوفية الفذة والمذاهب الروحية النظرية والعملية والتى سوف نتعرف عليها من خلال دورها فى تلك الفترة، ولعل أهم تلك الشخصيات:

"أبو الريحان البيرونى"(ت٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) الذى كان مولعًا بالتصوف، ويعمل على نشر تعاليمه فى البلاد التى يقوم فيها بأسفاره ومنها الهند، وقد عمل على ربط الفلسفة الهندية بالتصوف[٣]، وأطال البيرونى فى وصف الفلسفة الدينية للهند، وقارن بين عقائد الهند والإسلام والصوفية والنصرانية والفلسفة اليونانية، ونقل إلى العربية كتابين أحدهما فى المبادئ وصفة الموجودات، واسمه "سانك"، والآخر فى تخليص النفس من رباط البدن ويعرف "بباتنجل" وفيها غالبية أصول الديانة الهندية [٤].

---

[١]- قاسم غنى: تاريخ التصوف في الإسلام، ص٦٦٧.

[٢]-عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى من القرن الخامس الهجرى حتى سقوط بغداد، ط٢، دارالوفاء للطباعة، ١٩٨٨م، ص٥٢.

[٣]- محمد بن أبى صلاح: البيرونى يسيح فى الهند، ص٣٧.

[٤]- البيرونى: تحقيق ما للهند، ص١٦.

"أبو الحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى الهجويرى الغزنوى"(ت٤٦٥هـ/١٠٧٢م)ولد بمدينة غزنة إما فى أواخر القرن الرابع الهجرى أو أوائل القرن الخامس الهجرى، فتاريخ ولادته لم يرد فى أى مصدر بصورة مؤكدة، واستمد لقبه الجلابى والهجويرى نسبة إلى جلاب وهجوير وهما محلتان من توابع غزنة، وقد نشأ فى أسرة متدينة فكان والده على قدر كبير من التصوف والعرفان، ولهذا كان أبوه المعلم الأول له، ومنه أخذ الكثير من السلوك الطيب، صحب أباه خلال فترة الطفولة فتعرف على مبادئ التصوف فى سن مبكرة، وتشرب روحه منذ الصغر، وكان لذلك أثره الكبير فى اتجاهه إلي التصوف، ثم بعد ذلك بدأ يتصل بمشايخ الصوفية ويتعلم منهم ويستمع إلى نصائحهم وإرشاداتهم[١]، ثم سافر الهجويرى إلى الهند وأقام بمدينة لاهور[٢].

يعد "الهجويرى" أول من ألف عن التصوف باللغة الفارسية، فكان المصدر الأول الذى استلهم منه المؤلفون بعده الكثير من الأخبار والمعانى التى تحدثوا عنها، وقد ذكرت المصادر أن الهجويرى ألف كتبًا عديدة منها:

١. "الديوان"وهو مجموعة من الأشعار كتبها الهجويرى وهو صغير السن، وفُقِد أثناء حياته

٢. "منهاج الدين"والذى فقد هو أيضا فى حياة الهجويرى، وموضوعه كان يرتبط بالتصوف ويبدو أن هذا الكتاب كان على هيئة تذكرة، فقد ذكر الهجويرى أنه تحدث فيه عن مناقب أهل الصفة وشرح أحوالهم كلٌ على حدة

٣. "كشف الفناء والبقاء" تحدث فيه عن الفناء والبقاء وعن اختلاف الصوفية فى الفقر والصفوة

---

[١]- الهجويرى: كشف المحجوب، ص٤٣: ٤٥، ٥١.

[٢]-Arberry: Classical Persian Literature ,p٢٠.

٤. "كتاب فى شرح كلام الحلاج" كان "الهجويرى" في شبابه مفتونًا بالحلاج، وقرأ كثيرًا من كتبه، وقد دفعه إعجابه بالحلاج إلى تأليف ذلك الكتاب في شرح كلامه

٥. "البيان لأهل العيان" تعرض فيه لشرح بعض الرموز الصوفية

٦. "بحرالقلوب" ألف هذا الكتاب بعد كتاب "البيان لأهل العيان" وطرق فيه نفس الموضوع فشرح الرموز والمصطلحات الصوفية، وإن كان قد سلك فى ذلك مسلكًا أكثر تفصيلًا وإشباعًا من كتاب البيان

٧. "أسرار الخرق والملونات" تحدث فيه عن لبس المرقعة، وذكر أنه يلزم لكل مريد نسخة منه

٨. "الإيمان" تحدث فيه عن مدلول الإيمان فى الشريعة، وعند المعتزلة والخوارج وغيرهم

٩. "الرعاية بحقوق الله تعالى" تحدث فيه عن مبدأ التوحيد عند الموحدين، وأشار إلى آراء المخالفين من الوثنيين وغيرهم[١]

ضاعت معظم هذه الكتب، ولم يصل إلينا إلا كتاب "كشف المحجوب"، ويعد هذا الكتاب باكورة المؤلفات الصوفية فى اللغة الفارسية[٢]، فهو كتاب قيم يقوم على أساس علمى ومنطقى ومنهج سليم، فهو مصدر له أهميته، وقلما توجد دراسة فى التصوف الإسلامى قام بها المستشرقون، تخلو من الإفادة من هذا الكتاب والإشادة به.

بدأ "الهجويري" تأليف كتابه هذا حوالى عام(٤٣٥هـ /١٠٤٣م) وأتمه حوالى عام(٤٤٢هـ / ١٠٥٠م)[٣]. ويرى "الهجويرى" أن اسم كشف المحجوب أنسب الأسماء

---

[١].الهجويرى: المصدر نفسه، ص٩٩: ١٠٢.

[٢].ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٨٩٢.

[٣].الهجويرى:المصدر نفسه، ص١٢١.

لكتابه لأنه يعبر تعبيرًا صادقًا عما يحتويه الكتاب، فيقول "ولما كان هذا الكتاب فى بيان طريق الحق، وكشف حجب البشرية فإنه لا يناسبه غير هذا الاسم"[١].

أما موضوع الكتاب فهو عبارة عن منهج كامل لعلم التصوف، أصوله وفروعه وآدابه ومعاملاته، ليثبت لعلماء الظاهر ممن ينكرون هذا العلم ويتهمون الصوفية بالجهل أن لعلم التصوف أصولًا ثابتة تقوم على أسس علمية سليمة، إلى جانب استنادها إلى الناحية الروحية.

أما أقسام الكتاب فيمكن تقسيمه من الناحية الموضوعية إلى الأقسام الآتية:-

أولًا : أبواب تتناول الأصول الصوفية، وهى:

باب الفقر، باب التصوف، باب اختلافهم فى الفقر والصفوة.

ثانيًا: أبواب تعالج المسائل الفرعية، وهى:

باب لبس المرقعة، باب بيان الملامة.

ثالثًا: قسم خاص بتراجم الشيوخ.

رابعًا: قسم خاص بالفرق الصوفية.

خامسًا: قسم خاص بالعقائد الدينية، ويتحدث فيه عن:

معرفة الله تعالى، التوحيد، الإيمان.

سادسًا: قسم خاص بالعبادات ويتكلم في:

الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج.

سابعًا: أقسام تتحدث عن آداب الصوفية ورموزهم ورسومهم[٢].

---

[١]. الهجويرى: كشف المحجوب، ص١١٠، ١١١.

[٢]. المصدر السابق، ص١١٤.

وترجع أهمية كتاب "كشف المحجوب" بين كتب التصوف الإسلامى عامة إلى ما يلى:.

أولًا: من حيث المنهج العام أنه عالج الأصول المتعلقة بالتصوف، ثم تعرض لتراجم شيوخ التصوف، وقد حذى فى ذلك حذو "القشيرى"[١]، إلا إنه زاد علي ذلك بأن سلك مسلك المعلم فتناول كل شئ بالإيضاح والتفسير، ولم يقف قط موقف الرواية فقط، فقد بدت شخصيته واضحة فى كتابه نتيجة للمنهج العلمى السليم الذى اختطه لنفسه، فهو عندما يعرض لمادة من المواد يدرس عمومًا الآراء السائدة بالنسبة للموضوع الذى يبحثه، ويفند هذه الآراء إذا اقتضي الأمر، ثم يدلى برأيه الخاص الذى توصل إليه من خلال خبرته العلمية وتجاربه الشخصية.

ثانيًا: من حيث المميزات التي أنفرد بها الكتاب فقد أنفرد بميزة ضخمة لم يسبقه إليها كتاب آخر، وهذه الميزة تتمثل فى الباب الخاص بفرق الصوفية والتي قسمها مؤلفه إلي اثنتى عشر فرقة، نسب كل منها إلي مؤسسها وشرح المذهب الخاص بها، وبذلك يكون "الهجويري" أول من قسم الصوفية إلي هذه الفرق، فلم يرد في أى من كتب التصوف السابقة علي "كشف المحجوب" إشارة إلى هذا التقسيم، وأخذ عنه كل من جاء بعده، وكتب عن فرق الصوفية [٢].

والواقع أن "الهجويرى" بهذا الكتاب يعتبر من الرواد الأوائل في علم التصوف، وجهوده لا تنكر فى هذا المجال فقد استطاع إعادة التصوف إلى سيرته الأولي وتنقيته مما

---

[١]. أبو القاسم القشيرى (ت٤٦٥هـ / ١٠٧٣م): هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى مؤلف "الرسالة" المشهورة عن الصوفية، تعلم مقرر الفقه الذى وضعه "أبو بكر بن أبى بكر الطوسى "(ت٤٢٠هـ / ١٠٢٩م)، ثم درس علم الكلام علي "أبى بكر بن فورك "(ت٤٠٦هـ / ١٠١٦م) إلى أن برع فيه ثم تقدم في دراسة علم الكلام مع "أبى إسحاق الإسفراينى "(ت٤١٨هـ / ١٠٢٧م)، وجمع بين أسلوبى هذين المتكلمين، وكان "القشيرى "علامة فى حقول المعرفة المختلفة، كالفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والتصوف، ومن كتبه "الرسالة القشيرية" و"لطائف الإشارات" و"التيسير فى التفسير". جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص٩٥.

[٢]. الهجويرى: كشف المحجوب، ص١٨٢، ١٨٣.

علق به من شوائب، فقد ألف كتابه في الوقت الذي كان ينظر فيه إلي التصوف علي أنه زندقة وخروج علي تعاليم الكتاب والسنة، وقد كانت تلك النظرة ناشئة نتيجة امتزاج بعض التعاليم الصوفية ببعض العقائد الشيعية، لذلك نجد "الهجويري" في كتابه يتأسف علي اختفاء علم التصوف في زمنه، وأنه لم يبق منه إلا صورة مشوهة مخالفة للأصل. هذه الصورة المشوهة هي التي دفعته لأن يرسم في كتابه صورة واضحة للتصوف يبين فيها أصوله النظرية والعملية، ويؤيد كل أصل منها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويقرن فيها بين الشريعة والحقيقة، ويوائم بين التكاليف الشرعية والمعاني الصوفية التي تنطوى عليها، ويتصدى لآراء المنحرفين والأدعياء الذين أساءوا إلي التصوف والصوفية[١].

ومن صوفية "غزنة" أيضا "عبد الرزاق الغزنوى الصوفى" شيخ رباط عتاب، توفي سنة(٤٩٣هـ / ١٠٩٩م)[٢]. و"أبو زكريا يحيى بن الحسين بن سعيد الغزنوى الصوفى"(ت ٥٤٨هـ /١١٥٣م)سافر من "غزنة" إلي خراسان والعراق والشام، وسمع بسجستان وكرمان، وروى عنه "عبد الكريم السمعاني"[٣].

وأيضا "أبو الفضل محمود بن أحمد بن عبد الرحمن الغزنوي"، صحب "أبا الفتوح أحمد بن محمد الغزالي"وأخذ عنه علم الوعظ، توجه إلى "بغداد" سنة(٥٥٧هـ /١١٦١م)، وعقد مجلسًا للوعظ بجامع القصر ثم انتقل "لواسط" وسكنها حتي وفاته سنة(٥٦٣هـ / ١١٦٧م) ودفن في مدرسته "بمحلة الوراقين"[٤].

"أبو المجد مجدود بن آدم" المعروف "بسنائى الغزنوى"(ت٥٤٥هـ/١١٥٠م)من شعراء الصوفية العظام[٥]، ولد في مدينة "غزنة"، وأمضي صدر شبابه في هذه المدينة وعمل

---

[١]. المصدر السابق، ص٣٥.

[٢]. ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٣٠. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧١.

[٣]. الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٧، ص٣٤٢.

[٤]. القرشى: الجواهر المضيئة، ج٣، ٤٣٠.

[٥]. اسفزارى: روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات، ص٣٦١. (تاريخ وفاة "سنائي" مختلف فيه، فهناك من يجعل وفاته سنة(٥٢٦هـ /١١٣١م) ومن يرى أنها كانت سنة(٥٤٥هـ /١١٥٠م)، ومن يرجح

في بلاط الغزنويين ثم غادر"غزنة" إلى خراسان حيث كانت أرضًا خصبة للحركة الصوفية، فقضي فترة طويلة من حياته في مدنها بلخ وسرخس وهراة ونيسابور، واندمج في حلقات الدراويش وصاحب رؤساء الصوفية، ومنذ ذلك العهد أغمض سنائى عينيه عن العمل في البلاط الغزنوى، واختار العزلة والحج فتوجه إلى مكة ثم رجع إلى غزنة حيث أمضى الفترة الأخيرة من حياته فى الإعتكاف والعزلة حتى وفاته بها[١].

ومن أعظم مؤلفات هذا الشاعر منظومته "حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة"[٢]، والتي تعد من أعظم كتب التصوف التي ألفت بالفارسية، والمنظومة تحتوي علي جميع المعارف الإسلامية التي كانت سائدة في عهده، وهذا من وجهة نظر صوفية، ومعظم الأفكار التي تناولها الصوفية بعد "سنائي" توجد أصولها في ذلك الكتاب، كما يعد "سنائى" أول من أرسى دعائم العرفان الإيرانى أى التصوف الممتزج بالفكر الفلسفى، وقل أن نجد موضوعًا من الموضوعات التي كانت مثار جدل في عصره دون أن يدلى فيها سنائي برأيه من وجهة نظر صوفية، ومن ثم يثبت "سنائي" أن التصوف في عهده لم يعد مسلكًا فرديًا أو انعزاليًا بقدر ما هو فكر يستطيع أن يوجه كل العلوم، بل يستطيع أن يتدخل في أدق أمور الحياة، والمنظومة حافلة أيضًا بالحديث عن العقل الكلي والنفس الكلية ونظرية المعرفة والرسول والصحابة[٣].

أنه توفى سنة (٥٣٥هـ / ١١٤٠م). ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٥٥٩. إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ط٢، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨١م، ص٢٠٤.

[١]. دولت شاه سمرقندى: تذكرة الشعراء، تصحيح محمد إقبال، ١٩٣٩م، ص٥٩. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٧٣. أحمد أبو المجد هلال: فن الغزل فى الشعر الفارسى، ص٢٤٣. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٥٥٣. رفعت عبد العظيم محمود: نظرية العشق عند الصوفية الفرس، ص١٦٣.

[٢]. اسفزارى: روضات الجنات فى أوصاف مدينة هرات، ص٣٦١.

[٣]. إبراهيم الدسوقى شتا: التصوف عند الفرس، دار المعارف، (د.ت)، ص٢٨.

وقد تحدث "سنائى" فى منظومتة عن التوحيد وكلام الله ونعت الرسول صلى الله عليه وسلم وفضل الصحابة والخلفاء وفضل الإمامين "أبي حنيفة" و"الشافعي"، والعقل والعلم والعشق والقلب والتصوف وصفة البشر، والحكمة والشهرة وصفة الأفلاك والربيع والحكم والأمثال[١].

ولعل أهم منظوماته بعد "الحديقة" معراجه "سير العباد إلي المعاد" والتي يصور فيها سفر النفس الإنسانية إلى السماوات، وبالرغم من قصر المنظومة وهي حوالى سبعمائة وسبعين بيتًا، فإنها في غاية الصعوبة، وندين بفهمها إلي الشرح الذي كتبه عليها " فخر الدين الرازي" (ت٦٠٦هـ /١٢٠٩م) تحت عنوان "رسالة في سير النفس العاقلة"[٢].

ومن المؤلفات الصوفية أيضًا كتاب "طبقات النساك" "لأبى سعيد الغزنوي" وهو من الكتب المفقودة[٣].

وأخيرًا فإن نظرة متأنية في تراث هؤلاء الصوفية نجد أنهم قد اعتمدوا علي القرآن الكريم والسنة والأدب العربي في بناء تراثهم الصوفى، وعلي هذا النهج سار "الهجويري"، فأول ما يستلفت نظرنا في الكتابه كثرة الآيات القرآنية التي وردت فيه، فقد كان يستشهد ببعض هذه الآيات لإثبات الآراء التي يذهب إليها، ويرجع إلى بعضها ليوضح معني أساء البعض فهمه، ويشرح بعضها ليطلع القارئ علي المغزى الذي تنطوى عليه، ويؤكد عن طريق عدد منها بعض الأسس والأصول الصوفية، وإلي جانب الآيات القرآنية استعمل الحديث الشريف وشرح كثيرًا منها شرحًا وافيًا، ونقل معظمها إلي اللغة الفارسية، وفي

---

[١]. سعيد السيد الباجورى:الشعر التعليمى في الأدب الفارسى الإسلامى فى عصر الغزنويين والسلاجقة، القاهرة، مكتبة عثمان، ١٩٨٧م، ص٣٠.إسعاد عبد الهادي قنديل:فنون الشعر الفارسى، ص٢٠٥. وسوف نتناول المنظومة بالتفصيل عند التعرض للغزل الصوفى فى الفصل الثالث.

[٢].إبراهيم الدسوقي شتا: المرجع نفسه، ص٢٨، ٢٩.

[٣]ـ إبراهيم الدسوقى شتا: دور المتصوفة الإيرانيين فى ميدان التصوف الإسلامى وسياحتهم في مصر، بحث من كتاب جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، (د.ت)، ص٢٧٤.

الكتاب أيضًا الكثير من الأشعار والإشارات الأدبية الفارسية والعربية التى استعملها "الهجويرى" في مواضعها الصحيحية مما ينبئ عن فهم عميق وذوق أدبى سليم مدعم بدراسة واعية للأدب واطلاع علي الآثار الأدبية[١].

أما بالنسبة " لسنائى " فقد كان صوفيًا متمسكًا بالقرآن والسنة موفقًا بين الشريعة والحقيقة، إذ يقول في حديقته ما ترجمته "إنني جمعت في هذا الكتاب ما جاء في القرآن والسنة وأقوال المشايخ... وإن من يعرف قدر هذا الكتاب يعظمه كتعظيمه للقرآن لأنه ملئ بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية"، كما أنه خصص بابًا كاملًا في حديقته لذكر عظمة القرآن الكريم وسر إعجازه وهدايته وفضل تلاوته وسماعه هذا بالنسبة للقرآن الكريم، أما بالنسبة للحديث الشريف فنجده فى كتابه يلجأ إلى الحديث الشريف ليدعم به أفكاره، كما كان يصدر بعض فصوله بالحديث، وكان يلجأ أحيانًا إلى تفسير الأحاديث النبوية[٢].

أما بالنسبة للأدب العربي فإنه لم يكن يفرق بين الأدب العربي والفارسي، وقد هوجم بسبب ذلك، بل أطلق عليه "عربي الأدب" فدافع عن نفسه ووصل إلي رأى أن الأدب العربي والأدب الفارسي ينبعان من مشكاة واحدة هي مشكاة الإسلام، وقد أثبت هذا فى حديقته تحت عنوان "فى المساواة بين العربى والأعجمى" وانتقل من هذا العنوان إلي عنوان آخر هو "فى بيان الأدب ليس بفارسى أو عربى"، وإنما هو أدب إسلامى والدليل علي ذلك قوله:

- **حينما يكون المرء كاملًا فى الفضل، لا يضره أن كان عربيًا أو أعجميًا**
- **لأن الروح تحيا بالعلم والعقل، ويستوى العربى والأعجمى فى الروح[٣]**

---

[١]. الهجويرى: كشف المحجوب، ص٥٦، ٥٧.

[٢]. يوسف عبد الفتاح فرج: مصادر عربية وإسلامية للتصوف عند الفرس، مجلة الدراسات الشرقية، عدد ٢٣ يوليو ١٩٩٩م، ص١١٣: ١٢٠.

[٣]. المرجع السابق، ص١٢٥، ١٢٦.

ومن أهم الصوفية الذين زاروا مدينة "غزنة" "أبو عثمان أحمد بن نعيم النيسابورى الصوفى"(ت٤٥٧هـ / ١٠٦٤م)، رحل في طلب الحديث سنة(٣٧٨هـ /٩٨٨م)، وقد روى صحيح البخارى عن محمد بن عمر بن شبوية وأخذ عنه الكثير، ورد "غزنة" وتوفى بها [١].

"محمد بن الحسين الأزدى النيسابوري المشهور بأبى عمرو السلمى"(ت ٤١٢هـ / ١٠٢١م) " من علماء الصوفية المجاهدين في نشر المذهب الشافعى، من أشهر مؤلفاته "حقائق التفسير" الذي ضمنه كثيرًا من مبادئ التصوف، وقد تصدي "ابن الجوزي" فيما بعد بالرد عليه في كتابه "تلبيس إبليس"[٢]. و"أبو عبد الله عيسي بن شعيب بن إبراهيم السجزي الصوفى"(٥١٢هـ /١١١٨م)، ورد غزنة وسمع بها "الخليل بن أبي يعلى" [٣].

الخلاصة أن التصوف قد تطور منذ بداية هذا العصر وحتي نهايته، وكان لهذا التطور الأثر الكبير في غلبة تيار التوفيق بين التصوف والشريعة الذي اعتنقه "سنائى الغزنوى"، ويعتبر المنطلق الحقيقى "لحديقة الحقيقة"، وكان هذا إيذانًا بانتهاء عهد تصوف الشيوخ وبداية عهد الصوفية العلميين وأصحاب المذاهب والكتب ذات المنهاج المحدد المستقيم، والذى كان دافعًا نحو انتشار التصوف، وظهور طبقة من المتصوفة رجع إليهم الفضل فى تربية جيل من التلاميذ والمريدين صاروا أعلامًا فى تاريخ الحياة الروحية فى القرون التالية.

خامسًا: علم الكلام

كثرت تعريفات المتكلمين والباحثين لهذا العلم فمنها أنه علم يقتدر منه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه[٤]. ومنها أنه العلم بالقواعد الشرعية

---

[١]. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٠٤.

[٢]. سامية مصطفى محمد: دور سلاطين غزنة فى نشر الإسلام فى الهند، ص١٨٧.

[٣]. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٩٠.

[٤]. أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام (دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية فى أصول الدين)، ج١، الأسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٨م، ص٣. حاجى خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٥٠٣.

الإعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية[١]. ومنها أنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد علي المبتدعة المنحرفين فى الإعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة[٢]. ويتضح من تلك التعريفات أن علم الكلام علم من العلوم الشرعية المصطبغة بصبغة عقلية، تدور مسائله حول أصول العقائد الإسلامية وإثباتها والدفاع عنها ضد الآراء المخالفة لها[٣].

وسمى علم الكلام بهذا المسمي لأن أول خلاف وقع في كلام الله أهو مخلوق أم غير مخلوق فتكلم فيه الناس، فسمي هذا النوع من العلم الكلام[٤]. أو لأن علماء المسلمين أباحوا لأنفسهم الكلام في موضعه علي حين أمسك السلف عن الخوض فيه، بالإضافة لكثرة ما يدور حوله من مجادلات كانت تثيرها في الغالب الفرق المختلفة، وقد ظهر هذا العلم في نهاية القرن الأول الهجرى ومنتصف القرن الثانى الهجرى[٥].

---

[١]. سليمان بن صالح الغصن: موقف المتكلمين من الإستدلال بنصوص الكتاب والسنة، ج١، السعودية، ١٩٩٦م، ص١٩.

[٢]. ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٩٦٦. وله تسميات أخرى منها علم أصول الدين، وسماه "أبو حنيفة" "الفقه الأكبر" لأن الفقه فى أصول الدين أفضل من الفقه فى فروع الأحكام الشرعية ،وقد رفع أبو حنيفة مكانة الفقه الأكبر على الفقه وحده لأن الأحكام الإعتقادية تعرف بالله تعالى وهو المشرع ، كما أن الفقه الأكبر يثبت صحة الشريعة ووجوب الإلتزام بها ،بالإضافة إلى أن أحكام علم الفقه فروع تبنى على صحة الفقه الأكبر، وسمي "بعلم النظر والإستدلال"، وأيضًا "بعلم التوحيد"، على أساس أن أهم مبحث فيه هو التوحيد.عبد اللطيف محمد العبد: مواقف كلامية ،القاهرة، دار الهانى للطباعة والنشر،٢٠٠٧م، ص١٠. أبو الوفا التفتازانى:علم الكلام وبعض مشكلاته، ص٣. على الشابى: مباحث في علم الكلام والفلسفة، ص١٢.

[٣]. عامر النجار: علم الكلام عرض ونقد، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٥. على عبد الفتاح المغربى: الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، القاهرة، دار التوفيق للطباعة، ١٩٨٦م، ص١٢.

[٤]. السمعانى: الأنساب، ج٥، ص١٩٠. عبد المنعم الحنفى: موسوعة الفرق، ص٨٥.

[٥]. عصام الدين محمد على:أفاق الحضارة الإسلامية والأوربية، الأسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٩٣م، ص٣٧٥.عبد اللطيف محمد العبد: المرجع نفسه، ص٤٠.

أما عن موضوع علم الكلام ومباحثه فهى العقائد الدينية كأركان الإيمان والسنة وما يتعلق بها، ولا سيما الإيمان بالله وصفاته ومسائل النبوة، وكذلك مسائل القدر والإيمان وما يتعلق بها[١]. أما هدفه فهو حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدع، فهو دواء للنفوس المريضة" كما قال الغزالى[٢].أما الفارابى فقال عنه "هذا العلم يؤدى للدين خدمة جليلة لأنه يعطي القدرة لعالم الكلام علي نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى وضعها المشرع[٣]. وإذا وضعنا في الإعتبار ما قاله الفخر الرازى فى تفسيره من أن آيات الأحكام الواردة فى القرآن هي أقل من ستمائة، وأن الباقى يخص التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين، أدركنا صدق ما قاله بعضهم من أن علم الكلام يعد رأس العلوم الشرعية[٤].

أما الشروط الواجب توافرها فى المتكلم أن يكون:.

١. معتقدًا: يقوم اعتقاده فى التسليم بما ورد في كتاب الله والسنة المحمدية تسليم المكلف من لدن الشرع، واعتبارًا لهذا الجانب سمي علم الكلام "بعلم التوحيد"

---

[١].حاجى خليفة:كشف الظنون، ج٢، ص٥٠٣. بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ترجمة السباعى محمد السباعى، ط٢، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٣م، ص١٢١.

[٢]ـ الغزالى: إحياء علوم الدين، ج١، ص٣٣. إلجام العوام عن علم الكلام، القاهرة، ١٩٣٢م، ص٢٠، ٢١.

[٣].رفعت عبد العظيم محمود: نظرية العشق عند الصوفية الفرس، ص٢٢.

[٤].على الشابى: مباحث في علم الكلام والفلسفة، ص١٨.(هناك من يرفض القول بأن علم الكلام وسيلة للدفاع عن السنة، ومنهم "أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي"(ت٣٨٨هـ /٩٩٨م) كان إمامًا في الفقه واللغة، وألف رسالة فى علم الكلام بعنوان "الرسالة الجامعة"، وهو فى تلك الرسالة يهاجم الذين يميلون لعلم الكلام من أهل السنة، ويرى أنهم في الحقيقة لم يتخذوا هذا الموقف إلا طلبًا للتميز عن الناس فى الرتبة، وبحثًا عن الشهرة والجاة. هذا وقد ميز الفارابى بين جانبين فى علم الكلام: جانب إيجابى يهدف إلى إثبات ونصرة العقائد بالبراهين، وجانب سلبى يرمى إلى تزييف كل ما يخالفها أو يناقضها) حسين الصديق: المناظرات فى الأدب العربى والإسلامى، ص١٣٩. عبد اللطيف محمد العبد: مواقف كلامية ،ص١٢.

٢. ناظرًا: لما كان النظر هو طلب الفكر لشئ مخصوص بطرق مخصوصة يعتقد صاحبه أنها قادرة على الظفر به، فإن المتكلم يطلب تعقل أصول العقيدة وتعقيلها، وذلك بأن يسلك فيها سبل الإستدلال المنطقى، وهو ما أدى إلى تسميته "بعلم النظر والاستدلال"

٣. محاورًا: أى يتوجه المتكلم ويحاور غيره لإثبات دعاويه فى العقائد أو بانتقاد دعاوى غيره، وكانت هذه الصفة الحوارية للمتكلم داعية إلى تسمية علم الكلام "بعلم المقالات الإسلامية"[١]

نشأ علم الكلام في العصر الأموى، ففيه ظهرت أهم الفرق الكلامية وهم المعتزلة، وظهر الخلاف بين الفرق، واعتمد هذا النزاع على كل وسائل الدفاع من جدل يقوم علي أدلة نقلية وعقلية، ثم تولدت مسائل إعتقادية كانت موضع تجادل وتنازع وافترق فيها المسلمون فرقًا، فظهر علم الكلام على أيدى هذه الفرق خصوصًا المعتزلة، فهم الواضعون الحقيقيون لعلم الكلام، وأصبح علم الكلام أداة أساسية لإثبات عقائد أهل السنة، وتداخل معه علوم أخري من أهمها الفلسفة[٢]، فالمتكلم يعتمد فى منهجه على

---

[١].عبد الرحمن طه: فى تقويم المنهجية المنطقية لعلم الكلام، بحث بالمؤتمر العالمى الرابع للفكر الإسلامى، بعنوان المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، ج٢، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩٢م، ص٢٠٦.

[٢].عامر النجار:علم الكلام، ص٢٦. سليمان الغصن: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، ج١، ص٤٤، ٤٥. *الفلسفة تعنى بذل الجهد فى سبيل المعرفة الخالصة أيًا كانت هذه المعرفة سواء طبيعية أو رياضية أو غير ذلك، وفى ضوء هذا المفهوم للفلسفة يمكن التفريق بينها وبين علم الكلام، فالفلسفة تبحث عن الحقيقة سواء كانت دينية أو غير دينية، أما علم الكلام فهو يبحث عن الحقيقة الدينية فقط **والفيلسوف يدرس موضوعه دراسة عقلية خالصة لا ترتبط بدين ،وتبدأ عادة بالشك فى الأشياء ثم يتدرج منه إلى اليقين ،أما المتكلم فيبدأ بحثه بالإيمان بالعقيدة إيمانًا قلبيًا ثم يذهب كل مذهب للحصول على أدلة عقلية تزكى هذا الإيمان وتدفع شبه الخصم ،فموقفه هو موقف المدافع عن العقائد وهذا يعنى أنه يؤمن بصحة القضايا التى يدافع عنها أولًا ثم يعمل عقله ثانية ويدعمها بالبراهين. * سليمان الغصن: المرجع نفسه والجزء، ص٢٢.**على الشابى:المرجع نفسه،ص١٦.

النصوص الدينية أساسًا، وعلى الاستدلال العقلي كوسيلة، لهذا اشترط "الجاحظ" ـ في كتابه "الحيوان" ـ فى المتكلم أن تكون معرفته بالفلسفة وبخصائص الأشياء قدر معرفته بالدين[١].

كانت نشأت علم الكلام نتيجة لأسباب متضامنة اقتضت وجوده على الصورة التى نراه عليها، فهناك عوامل منبعثة من داخل الجماعة الإسلامية ذاتها كالخلاف حول بعض النصوص الدينية، مما أدى إلى اختلاف وجهات النظر في تفسير العقائد، والخوض في مشكلات عقائدية. وهناك عوامل وافدة من خارج الجماعة الإسلامية، ومنها التقاء الإسلام بحضارات وديانات الأمم المفتوحة مما ترتب عليه صراع عقائدى بينها وبينه، ومنها أيضا حركة الترجمة التى ترتب عليها انتقال الفلسفة اليونانية إلى المسلمين، ووجود نشاط فكرى هائل امتد أثره فيما امتد إليه إلى علم الكلام[٢]، فالمشتغلين بالعقائد قد وجدوا لهم من حركة الترجمة هذه زادًا حكميًا وفلسفيًا مكنهم من معالجة قضاياهم معالجة عقلية منطقية تتفق مع عصرهم من حيث شرح العقائد الإسلامية والرد على المبتدعة[٣].

وبالرغم من أهمية علم الكلام إلا إنه لم يكن معترف به كعلم من علوم الدين لدي علماء المسلمين طوال القرنين الثانى والثالث الهجريين، ولكن لم يحل ذلك دون نشأة العلم وتدوين موضوعاته وازدهاره، وقد استطاع "أبو الحسن الأشعرى"(ت ٣٢٤هـ /٩٣٥م)[٤]

---

[١]. على الشابى: المرجع نفسه والصفحة.

[٢]. أبو الوفا التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص٧.

[٣]. على الشابى: مباحث فى علم الكلام والفلسفة، ص٣٣.

[٤]. الأشعرى: *هو "أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر إسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن بردة بن موسى الأشعرى" ولد بالبصرة، ** تتلمذ على يد أحد شيوخ المعتزلة في البصرة، وهو "محمد بن عبد الوهاب الجبائى"، ودافع عن آراء هذا المذهب حتي الأربعين من عمره، وقد أدى تعمقه في مذهب الإعتزال إلى معرفته مواطن ضعفه نتيجة إسرافهم في التأويل العقلي، بعد هذا كرس حياته لمكافحة المعتزلة والفرق الضالة، وألف كتبا كثيرة مؤثرة، وقد غدا مؤسسًا رئيسيًا لمذهب الكلام، أما بالنسبة لمنهجه فكان منهجًا وسطًا، فلا هو أهمل العقل، ولا هو عطل النص، وإنما رد للنص منزلته

أن يمهد للإعتراف بعلم الكلام، وأن يجعل منه أحد علوم الدين[١]. وفى القرن الرابع الهجرى مر علم الكلام بأهم أدواره وهو دور تحرره من الفقه، فكانت كتب الكلام حتي ذلك الحين تتناول بعض الموضوعات الفقهية، ومرجع الفضل في حدوث هذا التحول إلي المعتزلة [٢].

اللائقة به فجعل للعقل وظيفته، وهي إدراك النص وفهمه، *** وكان لانتشار وغلبة المذهب الأشعرى أثره فى حدوث نهضة علمية للمسلمين.

* أبو الحسن الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود، القاهرة، دار المنصور، ١٩٧٧م، ص٩. أبو المظفر الإسفراينى: التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص٥٢. جلال محمد عبد الحميد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ١٩٨٢م، ص١٦٥، ١٦٨.

**حيدر بامات: مجالى الإسلام، ص٢٠٢. عامر النجار: علم الكلام ، ص٢٧.

*** قاسم غنى: تاريخ مختصر طب إسلامى، ياد كار سال اوسل، شمارهء بنجم، طهران، ١٣٢٣ش، ص١٤.

[١]ـ أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ج١، ص٤٠٧، ٤٠٨. حسين الصديق: المناظرات فى الأدب العربي الإسلامي، ص١٣٤. (ففى تلك الفترة برز اتجاه بين أهل السنة يقضى بتحريم النظر فى علم الكلام، إذ يؤثر عن "ابن حنبل" أنه قال فى مناظرة "ابن أبي داود له بحضور "المعتصم" "لست أنا صاحب كلام، وإنما مذهبي الحديث"، وينسب له قوله: "لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا يرى أحد نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل"، ثم قويت هذه الحملة ضد الكلام على يد "ابن عبد البر(ت٤٦٣هـ / ١٠٧٠ـ ١٠٧١م)، ومع ذلك يبقى الاتجاه الغالب لدي أهل السنة هو إستحسان الخوض فى علم الكلام، خاصة بعد أن صاغ كل من الأشعرى والماتريدى عقيدة أهل السنة صياغة عقلية أرضت نزوع الصفوة منهم، ومن ثم كثرت تآليفهم فى الكلام فى البيئات الإسلامية لعصور متعاقبة. على الشابى: المرجع نفسه، ص١٥. حسين الصديق: المناظرات فى الأدب العربى الإسلامى، ص١٣٣)

[٢]ـ رشيد حميد الجميلى: حركة الترجمة في المشرق الإسلامى، ص٣٦٣. (نتيجة التخصص العلمى الدقيق الذى ظهر فى الإسلام، انفصلت العلوم بعضها عن البعض الآخر، وبهذا التخصص سار كل علم فى مساره علي قواعد ومناهج خاصة، فتميز عن غيره من العلوم بموضوعه ومنهجه وغايته. كما أن هناك فرق بين الفقيه والمتكلم فى طبيعة دراسة المبادئ الدينية ،فالفقيه يهتم بمعرفة ما يترتب عليها من نتائج

لم ينتشر مذهب الأشاعرة وهو المذهب الكلامي الجديد إلا انتشارًا بطيئًا، ففي المشرق كان الماتريدية [١] ينافسون الأشاعرة، وذلك علي الرغم مما بين الفرقتين من تشابه في أصل المذهب، وكان علي الأشاعرة أن يقاوموا هجمات الكرامية الذين تحزبوا علي الأشاعرة ورفعوا أمرهم إلي السلطان "محمود الغزنوى" مدعين أن الأشاعرة يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس نبيًا اليوم وأن رسالته انقطعت بموته، ولم يكن هذا معتقدًا للأشاعرة[٢].

وبظهور "الأشعرى" بمذهبه الكلامي الجديد، يرد علي المعتزلة وينافح عن عقيدة أهل السنة فإحتدم الصراع بين الفريقين، وأصبح كل منهما مولعًا بالرد علي الفريق الآخر، فطغي الجدل علي المؤلفات، ولهذا السبب نرى "أبا الريحان البيرونى" يرفض ما يقوله الخصوم عن بعضهم، ويعتبر كتب المقالات المؤلفة حتي عصره ليست ذات غناء لأن كل خصم مولع باقتناص نقاط الضعف في منطق خصمه وبالرد عليها[٣].

،أما المتكلم فيبحث لهذه المبادئ عن الأدلة التى تقضى بثبوتها والإقرار بها. أبو الوفا التفتازانى: المرجع نفسه، ص٥.على الشابى: المرجع نفسه ،ص١٨)

[١]. الماتريدية: نسبة إلى أبى منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندى الماتريدى (ت٣٣٣هـ /٩٤٤م) كان من كبار العلماء وله مصنفات كثيرة منها كتاب التوحيد وكتاب رد أوائل الأدلة للكعبى، وهو إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين. وعن المذهب الماتريدى فإنه انطلق من المأثور عن أبى حنيفة فى العقائد ووقف موقفا عقليا مبسطا، فقال بإثبات قضايا الشرع بالأدلة العقلية المنطقية وبالبراهين الدافعة، ولكنه لم يبالغ فى قيمة العقل كما فعل المعتزلة، وإنما اتخذ لنفسه سبيلا وسطا، ذلك أنه يأخذ بحكم العقل فيما لا يخالف الشرع، فإذا خالف الشرع وجب الخضوع لحكم الشرع وحده.(الماتريدى:شرح الفقه الأكبر، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٩٠٣م، ص٥. تفسير الماتريدى السمى تأويلات أهل السنة، تحقيق إبراهيم عوضين والسيد عوضين، ج١، القاهرة، ١٩٧١م، ص٩.عادل العوا:الكلام والفلسفة، دمشق، ١٩٦١م، ص٤٩)

[٢].آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى، ص٢٨٨، ٢٨٩.

[٣].البيرونى: تحقيق ما للهند، ص١٤، ١٥.

ولما أشتد الجدل بين الأشاعرة والمعتزلة في القرن الخامس الهجري، لم تجد الخلافة العباسية سوى أن تتدخل لفض هذه المناظرات والخلافات، ففى عام(٤٠٨هـ /١٠١٧م) أصدر الخليفة العباسي "القادر بالله"(٣٨١: ٤٢٢هـ / ٩٩١: ١٠٣١م) كتبًا ضد المعتزلة فأمرهم بترك الكلام والتدريس والمناظرة فى الإعتزال والمقالات المخالفة للإسلام، وأنذرهم إن خالفوا أمره فسوف يتخذ ضدهم أشد العقوبات. وكان السلطان "محمود" أول من امتثل فى "غزنة" لأمر أمير المؤمنين واستن بسنته فى قتل المخالفين ونفيهم وحبسهم، كما أمر بلعنهم علي المنابر[١].

وصار علماء وصوفية "غزنة" على نهج سلاطينهم في محاربة المعتزلة، ومن أهم من تصدى منهم للمعتزلة "الهجويرى"، فهو كصوفى من أهل السنة وقف موقفًا متشددًا من المعتزلة، وتصدى لأقوالهم وعارض آرائهم، ووصفهم فى كتابه بالخروج على الدين، بل إن الأمر بلغ به إلى درجة أن كفرهم وأخرجهم من دائرة الموحدين[٢].

وبذلك يتضح لنا أن الصراع بين العقل والنقل كان الشغل الشاغل لمفكرى الإسلام منذ دخول العلوم اليونانية محيط الفكر الإسلامى، وظهور تأثيرها واضحًا فى نشأة علوم جديدة مثل علم الكلام، وكانت وطأة الهجوم على كل ما سوى النص الحنفى للشريعة تشتد كلما أتى على الحكم حاكم متشدد فى أمر الدين. وكان مظهر هذا التشدد رفض كل ما هو متصل بالعلوم العقلية كبداية لرفض كل ما لا يتصل بالنص الحنفي للشريعة. وكان السلطان "محمود" من هؤلاء، فقد أمر بإحراق مكتبة مدينة الرى، وخاصةً ما كان فيها من كتب الفلسفة والمعتزلة[٣].

وفي أشعار "سنائي الغزنوى" نصادف أشعارًا يحث فيها عن الإعراض عن أباطيل اليونان والإكتفاء بالحديث والسنة: **. تحرر من طوق العقلانية وتوجه ناحية ذوق الإيمان**

---

[١]. البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٩٤. البيرونى: الجماهر فى معرفة الجواهر، ص٣٣، ٣٤.

[٢]. الهجويرى: كشف المحجوب، ص١٩٦.

[٣]. ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص٣٩: ٤٠. ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٥٩.

.فأى شئ تكون حكمة اليونان أمام ذوق الإيمان[١]

وفي المقابل فهناك من أثنوا على علم الكلام، ومن هؤلاء "أحمشاذ بن عبد السلام الغزنوى"(ت٥٥٢هـ /١١٥٧م)، والذى قال فى ذلك "يثنى عنان الكلام إلى علم الكلام، فهو العلم: ومن لم يتقن فيه فهو مقلد، وفى معرفة الله بعد متبلد، وما اتفقت الأئمة على اتفاق إيمانه بل حذره بعضهم فى عذاب الله ونيرانه"[٢].

أهم علماء علم الكلام في مدينة "غزنة"

"أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصفهانى" الفقيه المتكلم[٣]، أقام أولًا في العراق يدرس على علمائها حتى وصل إلى أن درس بها مذهب الأشعرى على "أبى الحسن الباهلى"[٤] ثم ارتحل إلي الرى ثم إلى نيسابور، فاستوطنها معلمًا للأدب والفلسفة، وكان ذو ثقافة موسوعية، فتنوعت علومه وتعددت فنونه، فهو إمامًا في الفقه وعالمًا بالأصول، ومتبحرًا في علم الكلام، وضليعًا فى الوعظ وخبيرًا بالنحو، وعارفًا بالأدب[٥]، حدث عنه "أبو بكر البيهقي" و "أبو القاسم القشيرى" و "أبو بكر بن خلف" وآخرون[٦]، وحكى عن "ابن فورك" أنه قال: كان سبب اشتغالى بعلم الكلام أنى كنت بأصبهان اختلف إلى فقيه، فسمعت أن الحجر يمين الله في الأرض، فسألت ذلك الفقيه عن معناه فلم يجب بجوابٍ شافٍ، فأرشدت إلى فلان من المتكلمين فسألته، فأجاب بجوابٍ شافٍ، فقلت: لابد من معرفة هذا العلم، فاشتغلت به[٧].

---

[١]. إبراهيم الدسوقى شتا:حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة لسنائى الغزنوى، رسالة دكتوارة، آداب القاهرة، ص١٢.

[٢]. عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٤٦.

[٣]. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٧٨.

[٤]. السبكى: طبقات الشافعية، ج٤، ص١٢٩. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٤٠.

[٥]. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١٨٣: ١٨٨. الأسنوى:طبقات الشافعية ،ج٢، ص١٢٦.

[٦]. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٢١٦.

[٧]. السبكى: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

استثمر "ابن فورك" علمه في إفادة من حوله، ونشر المعارف الإسلامية والوقوف في وجه المبتدعة والأدعياء مما عرضه للأذى ثم الإستشهاد. دعى إلي مدينة "غزنة"، وجرت له بها مناظرة عظيمة، وذلك لأنه كان شديد الرد على زعيم الكرامية "أبى عبد الله بن كرام"، فتحزب الكرامية عليه، وأنهوا إلى السلطان "محمود " أن هذا الذى يؤلب علينا عندك أعظم منا بدعة وكفرًا، وذلك أنه يعتقد أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم ليس نبيًا اليوم، وأن رسالته انقطعت بموته، فاسأله عن ذلك، فاستدعاه السلطان، فلما حضر بين يديه سأله عن ذلك فكذب ذلك الكلام، ووضح للسلطان الأمر فأمر بإعزازه وإكرامه، فلما يئست الكرامية منه سلطوا عليه من سمه فى الطريق سنة(٤٠٦هـ / ١٠١٥م)[١].

بلغت مؤلفاته فى أصول الدين وأصول الفقه ومعانى القرآن الكريم قريبًا من المائة[٢]، و أهم تلك المؤلفات:.

- كتاب الحدود في الأصول، وهو تعريفات لأسس الفقه الحنفى
- النظامى فى أصول الدين
- طبقات المتكلمين
- رسالة فى علم التوحيد[٣]
- مشكل الحديث وبيانه، وهو أهم كتبه، ويعالج تأويل الأحاديث المشبهة والمجسمة[٤]، وقد عرف هذا الكتاب تحت عناوين مختلفة:.

---

[١].المصدر السابق والجزء، ص١٣١. ابن العماد: المصدر نفسه والجزء، ص١٨٣.ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعية،ج١،ص٣٥٣.

[٢].القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٩٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٧٣.الصفدى: الوافى بالوفيات ،ج٢ ،ص٢٥٤.

[٣].بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، القسم الثاني (٤.٣)، ص٢٣١.

[٤]ـ ابن فورك: مشكل الحديث وبيانه، تحقيق موسى محمد على، القاهرة، دار الكتب الحديثة، (د.ت)،ص٣٤.

- التكلم على الأحاديث المشهورة التى ظاهرها التشبيه وردها إلى المحكم
- بيان مشكل الحديث ورد على الملحدة والمعطلة والمبتدعة من الجهمية والجسمية والمعتزلة
- شرح مشكل الحديث
- تأويل مشكل الحديث ورد على الملحدة
- حل متشابهات الحديث
- شرح غريب الحديث.
- مشكل الآثار أو الحديث
- إملاء فى الإيضاح والكشف عن وجوه الحديث[١]

ومن علماء الكلام أيضًا "أبو حفص عمر بن أبى بكر بن محمد الغزنوى"، كان إمامًا في علم الكلام والفقه[٢].

ومن أهم أتباع المذهب الأشعرى من الغزنويين "أبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوى الأشعرى"، كان واعظًا كاتبًا ورد بغداد ووعظ بها، وكان من المتعصبين للمذهب الأشعرى، رحل من بغداد قاصدا بلده فمات في الطريق بإسفرايين سنة(٤٩٨هـ /١١٠٤م)[٣].

الخلاصة أن علماء الكلام استطاعوا الوقوف فى وجه الحملات التى شنها أعداء الإسلام للتشكيك فيه وهدمه، وكان خطر هؤلاء على العامة لا على العلماء، فالعلماء

---

[١].بروكلمان: المرجع نفسه والجزء والصفحة.

[٢].القرشى: الجواهر المضيئة، ج٢، ص ٦٤٢.

[٣].ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص١٣١. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٧.

obeikandl.com

يعرفون الحق من الباطل ويميزون الطيب من الخبيث أما العامة فلا، لذلك كانت ثمرة جهود علماء الكلام أن وضعوا سدًا منيعًا فى وجه أولئك المهدمين فحفظوا عقائد العوام.

الفرق والمذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة

بلغت المذاهب والفرق الإسلامية أقصى نشاطها زمن الدول المستقلة فى المشرق، وانقسم الناس إلى طوائف وأحزاب حسب مذاهبهم، وزاد فى هذا الإنقسام أن كل مذهب من المذاهب انقسم بدوره إلى فرق فرعية عديدة، ثم اشتد الجدل والنزاع بين الفرق المختلفة، ونستطيع أن نجد صدى لهذه الأحداث فى شعر "سنائى الغزنوى"، فقد تكرر في شعره ألفاظًا شاعت في مجالس الجدل مثل "المبتدع":

هو إمام الدين فقيه الأمة من هيبته صار ذم المبتدع جامدًا فى عظامه[١]

وبالرغم مما أحدثته هذه الفرق من اضطرابات فى المجتمع إلا أنها كانت ذات أثر كبير فى إيجاد نهضة علمية واسعة، فقد ساعد الجدل والاختلاف في الآراء على حرية الفكر والازدهار الثقافي، إذ نشطت كل فرقة للدفاع عن نفسها بسلاح العلم، وظهرت كثير من المؤلفات التي ألفها المعتزلة والإسماعيلية والصوفية وغيرهم من علماء الفرق المختلفة، بالإضافة إلي تدريب الناس على تقبل الآراء والنظريات الجديدة وبصدر رحب.

كذلك كان لهذا الصراع أثره علي الفكر التربوى باعتباره الأسلوب الذى تتبناه الجماعات في تنشئة أفرادها، وقد تنوع هذا الأسلوب بين جماعات اتخذت المنهج العقلي، وجماعات اعتمدت على المنهج الذوقي والتربية الروحية، وجماعات مالت إلى المنهج النقلي، وسعت جماعات أخرى إلى التوسط بين كل هذه الاتجاهات وأخذت من كل منهج بطرف[٢].

---

[١]. إبراهيم الدسوقى شتا: حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة لسنائى الغزنوي، ص٢١، ٢٢.

[٢]. أحمد عرفات القاضى: الفكر التربوى عند المتكلمين المسلمين، ص٢١.

كان المجتمع الإسلامي في القرن الرابع الهجرى مقسمًا من الناحية الدينية إلي كتلتين أهل السنة والشيعة، فالخلفاء العباسيون في "بغداد" ومن تبعهم من الملوك والحكام سنيون يتعصبون للسنة، والفاطميون في مصر والشام والمغرب، وبنو بويه في العراق شيعيون يتعصبون للشيعة، وكان الخلاف قائمًا علي أشده بين الكتلتين.

وفي القرن الخامس الهجرى كثرت الفرق الإسلامية واشتد النزاع بينها ولم يعد الخلاف مقصورًا على أهل السنة والشيعة، بل تعدى ذلك إلى أهل السنة فيما بينهم، فظهر النزاع بين مذاهب أهل السنة المختلفة كالشافعية والحنفية، وتنازع الفقهاء بعضهم مع البعض، وبلغت الخلافات المذهبية بين الشيعة وأهل السنة والأشعرية والمعتزلة والإسماعيلية، وأيضًا النزاع والجدل بين المذاهب السنية إلى حد أن مجادلات العلماء ومناظراتهم كانت تنتهى أحيانًا بالعراك والقتل والنهب[١].

من الجدير بالذكر أن الحكومات لم تكن تتدخل فى تلك النزاعات قبيل الدولة الغزنوية، ولكن الوضع ما لبث أن تغير فى القرن الخامس الهجرى، وأخذ الملوك والحكام يتدخلون بالتدريج فى الصراع[٢]، فكان السلطان "محمود "من المتعصبين للسنة[٣]. وكان أول الحكام الذين اتبعوا سياسة القضاء على المذاهب الدينية الضعيفة مثل الشيعة وفرقها أمثال القرامطة[٤]، وفى المقابل هناك بعض المذاهب القوية كالمذهب الحنفى الذى كان يدين له الناس بكل الولاء[١].

---

[١]. الهجويرى: كشف المحجوب، ص٢٣.

[٢]. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٠٢.

[٣]- Arberry: Classical Persian Literature,p٢١.

[٤]. *القرامطة فرقة دينية سياسية، تنسب إلى رجل يدى "حمدان بن الأشعث قرمط"، ولقب بقرمط لقرمطة في خطه، وينسب القرامطة إلى الباطنية لأنهم كانوا يتلقبون بلقب جديد، ويتسمون باسم جديد ولكن المعنى واحد، فهم يسمون فى حلب ومصر بالإسماعيلية، وفى قم و كاشان وغزنة وبغداد بالقرامطة. ** وقد اتخذ حمدان قرمط من واسط مركزًا لدعايته، وسماها دار الهجرة ومن مبادئهم الاجتماعية والاقتصادية الشركة في الأموال، فكان المريدون منهم يقيمون ولائم محبة، يتناولون فيها طعام أهل الجنة على حسب

والواقع أن الغزنويين اتبعوا تلك السياسة من مساندة الأحناف والتخلص مما عداهم من مذاهب غير رسمية كالتشيع والإعتزال، وذلك لعدة عوامل منها قلق السلطان "محمود " من ازدياد حركة الشيعة، وكذلك رغبته في التخلص من نفوذ المذاهب الدينية الأخرى التى كان لها مدارس فقهية، وخاصة مدارس الشافعية بقيادة بعض العلماء الذين بدأوا ينافسون المدارس الحنفية في المناظرة والنقاش والجدل. وهناك عاملٌ آخر زاد من الحملات التي شنها السلطان "محمود "ضد معتنقى المذاهب المخالفة، وهذا العامل هو دعم الخليفة "القادر بالله" ببغداد للسلطان محمود فى تلك الحملات، فبينما أعلن "محمود" نفسه مدافعًا عن المذهب السنى بقصد التقرب من الخليفة العباسى الذى كان يرسل إليه الألقاب والخلع والهدايا، ويدعمه بالشرعية السياسية والدينية، كان الخليفة يرى فى "محمود" المتوثب دائمًا للغزو رأس حربة لا تكلفه شيئًا في مواجهة القواعد العسكرية والفكرية للإعتزال والتشيع فى البلاد البعيدة عنه، والتي تغذى فكريًا وماديًا تجمعاتها الموجودة في مقر الخلافة [٢].

وقد اعترف السلطان "محمود" نفسه بذلك فقال أنه أدخل أصبعه من أجل العباسيين في كل جهات العالم يبحث عن القرامطة ويشنق كل من يجده وتثبت عليه القرمطة [٣]. لذلك شن السلطان "محمود" حربًا لا هوادة فيها علي المعتزلة والقرامطة وأعمل فيهم

رأيهم، وقد وضع "عبدان". وهو صهر "حمدان" مؤسس الفرقة. كتابًا شرح فيه طريق المريد إلى بلاغات الفرقة السبعة، ذلك لأنهم يقدسون العدد سبعة، وتنتهى البلاغات بالمريد إلى أنه لم يدرك جمال العقيدة الكلى، وبذلك يقع تحت سيطرة رئيس الفرقة، ومن عقائدهم أن كل ما أوحى به سابقًا من تنزيل وشرائع دينية، إنما يمثل حجابا لمعنى باطنى، لا يدرك إلا بالتأويل. *نظام الملك: سياست نامه، ترجمة السيد محمد العزاوى، القاهرة، دار الرائد العربى، ١٩٧٥م، ص٢٨٥. **التوانسى: أبو الريحان البيرونى، ص٣١.

[١]. حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى، ص٢٠٨، ٢٠٩.

[٢]. البيرونى: الجماهر في معرفة الجواهر، ص٣٣، ٣٤.

[٣]. البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٩٤.

القتل والصلب وأمر بلعنهم علي المنابر، وشردهم من ديارهم، وجعل كثيرًا من كتب الحكمة والفلسفة والنجوم ورسائل المعتزلة طعمة للنيران[١]. وهذا ما سيأتى تفصيله.

ففي سنة(٣٩٦هـ /١٠٠٥م) عندما كان مشغولًا فى أعماله العسكرية بالهند، قاتل الإسماعيلية الذين كانوا في المولتان، والسبب في ذلك أن واليها "أبا الفتوح داود بن نصر بن محمد القرامطي" حاول الاستقلال بالمولتان، فتوجه إليه وفتح المدينة وألزم أهلها عشرين ألف درهم، واندفع يؤدب كل من تحدثه نفسه بالميل إلى هذا المذهب[٢].

ثم قام السلطان "محمود" خلال فترة حكمه بعمليات تطهير واسعة النطاق شملت إدارات الدولة، حيث طرد منها كل من يشك بعقائده، وقد أرسل رسالة للخليفة العباسى يعلمه بذلك[٣].

وقد عاش الشيعة في جو من الإضطهاد طوال الفترة التى حكم خلالها السلطان "محمود" والسلطان "مسعود"، وقد تركز جهد هذين الحاكمين على قمع الشيعة الإسماعيلية[٤].

ولما وجد الفاطميون في مصر ما يلاقيه أنصارهم من الشيعة فى بلاد المشرق على يد السلطان "محمود "عملوا على استمالته إليهم، وذلك بأنهم أرسلوا داعيًا من دعاتهم يدعى"عبد الله بن على العلوى التاهرتى"[٥]، أرسله الخليفة "الحاكم بأمر الله

---

[١].ابن الجوزى: المنتظم، ج٧، ص٢٨٧. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص١٨٤، ١٨٥.

[٢]ـ العتبى: تاريخ اليميني، ج٢، ص١٨٠. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٣٤. أطهر المباركبورى: رجال السند والهند إلى القرن السابع، ص١٠٠، ١١١.

[٣].نظام الملك: سياست نامه، ص٩٧.

[٤].رسول جعفريان: الشيعة فى إيران دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجرى، ترجمة على هاشم الأسدى، ١٤٢٠ق/١٣٧٨ش، ص٣٠٤. ناصر خسرو: جامع الحكمتين ،ترجمة إبراهيم الدسوقى شتا ، القاهرة، دار الثقافة للطبعة والنشر، ١٩٧٧م ،ص٢٧.

[٥].نسبة إلى "تاهرت" إحدى مدن المغرب، وهى من المناطق التى خضعت للسلطة الإسماعيلية منذ أواخر القرن الثالث الهجرى. رسول جعفريان: المرجع نفسه، ص٣١٦.

الفاطمى "(٣٨٦: ٤١١هـ /٩٩٦: ١٠٢٠م) إلي السلطان "محمود" بغزنة سنة(٤٠٣هـ /١٠١٢م) يدعوه إلى المذهب الإسماعيلى، وكان معه عدد من تصانيف الشيعة، ففوض السلطان "محمود" أمره ومناظرته إلى علماء "نيسابور"، فاجتمع في محفل أئمة الفرق، وانبرى الشيخ "أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي النيسابورى" لمناظرته، فألزمه الحجة بحيث لم يستطع الجواب، فأثبت بذلك فساد عقيدته، ثم رفع أمره إلى الخليفة "القادر بالله " فأمر بقتله، فقتل بنواحى "بست"[١].

وفي سنة(٤١١هـ / ١٠٢٠م) حاول الخليفة " الظاهر الفاطمى "(٤١١: ٤٢٧هـ /١٠٢٠: ١٠٣٥م) استمالة السلطان "محمود" للدعوة له والخطبة باسمه، فكاتبه وأرسل إليه الخلع، فلم يلتفت السلطان "محمود" لكتابه، وبعث به وبالخلع للخليفة العباسى "القادر بالله" الذي قام بجمع الأشراف والأعيان، وأخرج الخلع وأضرمت النيران وألقيت فيها الخلع، وعندما بلغ ذلك الخليفة الفاطمى "الظاهر" كف عن مكاتبة السلطان "محمود"[٢].

وفي سنة(٤٢٠هـ /١٠٢٩م(توجه السلطان "محمود" إلى مدينة "الرى" التي كانت مركزًا للمذاهب المناوئة لمذهب أهل السنة والتي من أهمها مذاهب غلاة الشيعة والمعتزلة وغيرهم[٣]، ونفي "محمود" كثير من المعتزلة، وأحرق ما وجده من كتب الفلسفة والإعتزال، ونقل ما دون ذلك إلي "غزنة"، وأرسل إلي الخليفة "القادر بالله" رسالة طويلة بيَّن فيها أسباب فتحه "الرى"، ويؤكد أن هذا دفاعًا عن مذهب أهل السنة والجماعة [٤]. وقد كان بالرى من الباطنية رستم بن على الديلمى و الذى أباح الدماء وسب الصحابة والخلفاء الراشدين، فقبض عليه السلطان محمود هو وأتباعه وقتل منهم جماعة وصلب

---

[١].السمعانى: الأنساب، ج١، ص٤٤٤. الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٩١.

[٢].ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص٢١، ٢٢.

[٣].ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٣٦.

[٤].ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٧١.النويرى: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٦٦. بداونى:منتخب التواريخ، ج١، ص١٨.

الباقى فى شوارع المدينة، وأخذ ما كان قد احتجزه رستم بن على من جواهر وأموال وثياب[١].

وفي ذلك يقول الشاعر "فرخي" في شعر له ما ترجمته:.

.أخذت ملك الرى من القرامطة، وأصبحت راغبًا الآن في أداء مناسك الحج

.و كل من عمل منهم بهواه، فإن جزاءه الصلب علي أعواد المشانق[٢]

لم يكن الاضطهاد مقتصرًا فقط على الشيعة، ولكنه امتد إلى اضطهاد الفرق السنية المخالفة لمذهب الدولة الغزنوية، فقد اضطهد السلطان "محمود الغزنوى" الأشاعرة وسبهم على المنابر، واستمر ذلك حتي أمر الوزير السلجوقى "نظام الملك" بالكف عن لعن الأشاعرة[٣].

وبالإضافة إلى ذلك كانت تهمة التشيع إذا إلقيت علي أحد العلماء تكون سببًا لاضطهاده، فميل "الفردوسى"[٤] للتشيع وركونه إلى المعتزلة فى أصول العقائد كان السبب الرئيسى لاضطهاد السلطان "محمود" له بعد أن كان من المقربين إليه، ففي عصر طغي فيه التعصب المذهبى، كان يحلو "لمحمود" أن يتعقب الشيعة ويضطهدهم فعزف عن " الفردوسى "[٥].

---

[١].الصفدى: الوافى بالوافيات،ج١٤ ،ص٨١.

[٢].رسول جعفريان: الشيعة فى إيران، ص١٩٩.

[٣].ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج٥، ص٥٤، ٥٥.

[٤]. الفردوسى: أبوالقاسم منصور بن حسن الطوسى(ت٤١١هـ/١٠٢٠م)صاحب الشاهنامة، ويعتبرالفردوسي أعظم شاعرملحمى عرفه المسلمون، وتعتبر "شاهنامته" معلمًا من معالم الأدب الفارسي والإسلامي علي السواء. الفردوسى: الشاهنامة، ترجمة عبد الوهاب عزام، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٢م، ص٥٤.

[٥]. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٣٨.على الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص١٧٧.

كان "الفردوسي" يخفي تشيعه بسبب الأوضاع السائدة في عصره، ولكن المضامين الموجودة في شعره تدل علي ميله للتشيع، ومن تلك الأشعار ما ترجمته :.

.من كان في قلبه بغض عليٍّ، فهو ابن زنا

.وخصم عليٍّ غير طاهر المولد، حتي لو كان من أعضاء الإيوان والبلاط

ومما قاله بشأن كتابه "الشاهنامة": "إن الفردوسي الطوسي" الطاهر المولد ينشد هذه الملحمة، وينضد هذه الجواهر الكثيرة باسم النبي صلى الله عليه وسلم وعليّ رضي الله عنه لا باسم "محمود".[١] وبسبب المضامين الموجودة في شعر "الفردوسي" لقي الشاعر الاضطهاد والتشريد بسبب مدحه لآل البيت، وإن كان هذا المدح لا يختلف عن مدح أهل السنة لهم[٢]. كذلك قام السلطان "محمود" بقتل أستاذ "البيرونى "عبد الصمد الحكيم" عندما استولى على "خوارزم" بتهمة انتمائه للشيعة[٣].

يتضح مما سبق أن السلطان "محمود" شن حملة قوية على الشيعة في كافة المناطق التابعة لحكمه أو حتى غير التابعة، وفى ذلك يقول أحد المؤرخين "إذا سمع أن شخصًا فى أقصي المغرب سيئ الدين أو المذهب، فإنه يبذل أقصى جهده للقبض عليه، وأعدم في عهده ما يدنو علي خمسين ألفًا من هؤلاء الزنادقة"[٤]. وبسبب ذلك فإن الإسماعيلية وسائر الفرق الشيعية قد ابتهجت واغتبطت بوفاة السلطان "محمود"، ولذلك قال "فرخى" في رثائه: **آه، فالآن قد ابتهج القرامطة وآمنوا على أرواحهم من وطأة التشريد والإعدام".**[٥]

استمر هذا الوضع طوال فترة الحكم الغزنوي، فقد تعرض الكثير من العلماء والشعراء للاتهام بتهمة التشيع، ومنهم الشاعر الصوفي "سنائي الغزنوي"، والذي ذكر في

---

[١].رسول جعفريان: المرجع نفسه والصفحة.

[٢].على الشابى: المرجع نفسه والصفحة.

[٣].عارف تامر: تاريخ الإسماعيلية. ٤ .الدولة النزارية، ج٣، لندن، رياض الريس، ١٩٩١م، ص١١١.

[٤].رسول جعفريان: المرجع نفسه، ٣٠٠.

[٥].المرجع السابق، ص٣١٨.

خطاب أرسله إلي السلطان "بهرامشاه"(٥٤٧: ٥٥٥هـ/ ١١٥٢:١١٦٠م) يشكو فيه أن علماء "غزنة" اتهموه بالتشيع، وتم القاءه في السجن بسبب ذمة "لمعاوية بن أبي سفيان"، فأرسل السلطان "بهرامشاه" إلي علماء "بغداد"، فأفتوا بأن"سنائي"غير مخطئ، حيث كان "سنائي" يحاول التوفيق بين كافة الآراء، لكى ينجو من آفة التعصب التى كان يهاجم بها، فقد عظَّم كل من وجده ذا يد عليا في الشريعة سواء كان محسوبًا من أهل السنة أو من الشيعة، لقد دافع عن الخلفاء ضد المتعصبين من أهل السنة، وعظَّم أهل البيت وأئمتهم كمسلم وكشاعر للشرع، كما كان يطلق علي نفسه[١].

وفي المقابل وعلي الرغم من دفاع الغزنويين الشديد عن المذهب السني، فقد عاش في بلاطهم الكرامية، وهي من الطوائف الدينية التي اكتسبت الشهرة في العالم الإسلامي، وخاصةً في مدينة "غزنة"، فكان كلٌ من السلطانين "سبكتكين" وابنه "محمود" يعتقدان في مذهبهم[٢]، فقد اتخذ "محمود" من أتباع الفرقة الكرامية قوة محافظة ورأس حربه ضد المعتزلة والإسماعيلية[٣].

أوكل السلطان "محمود" إلي هؤلاء أمر النظر في عقائد سائر المذاهب والحكم علي الصحيح أو الفاسد منها، وقاد عمليات النظر فى عقائد الناس هذه شيخ من شيوخ الكرامية ويدعي "أبا بكر محمد بن إسحاق بن محمشاد"، والذي منحه السلطان "محمود" رئاسة مدينة "نيسابور"، وأطلق يده في التخلص من بعض الفرق التى تميل إلي الفلسفة والجدل مثل المعتزلة، فكان أتباعه يشنون الغارات ويداهمون البيوت والمساجد والمكتبات فيقتلون ويصادرون الأموال، ومن امتنع عن مجاراتهم أو إعطائهم ما يطلبون رموه بالإلحاد والزندقة وفساد العقيدة، وإذا استعصي عليهم أمر جماعة أو طائفة كتبوا بذلك

---

[١] .إبراهيم الدسوقى شتا: حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة لسنائى الغزنوى، ص٢٤.

[٢].الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٤٨٤: ٤٨٦.

Bosworth: The Rise of Karamiyah,p٦.

[٣].البيرونى: الجماهر فى معرفة الجواهر، ص ٣٣.

للسلطان "محمود" يستعينون به[١]. فقد كتبوا له تقريرًا وأرسلوه إليه في "غزنة" يخبروه فيه بأمر الصوفي "أبي سعيد بن أبي الخير"(ت٤٤٠هـ /١٠٤٨م)[٢] ومريديه الذين كان عددهم آنذاك مائة وعشرين فردًا، إضافة إلي جماهير غفيرة من عامة الناس[٣].

كما فعلوا نفس الشئ مع الحافظ "محمد بن الحسن بن فورك"، فقد أتهمه الكرامية بالقرمطة، وجعلوه يحضر أمام محكمة حضرها السلطان، وقام بمناظرته "أبو عبد الله محمد بن الهيصم الكرامي" شيخ الكرامية وأعرفهم بالمناظرة وعلم الكلام، فهو رأس طائفتهم[٤]، وهنا أعلن "ابن فورك" مذهبه الذي ينتمي إليه وهو المذهب الشافعي، وبرائته مما ينسب إليه من الافتراءات التي لا تمت له بصلة، فأطلق السلطان "محمود" سراحه، إلا إن الكراميين لم يتركوه حيًا، بل دسوا له السم فمات سنة(٤٠٦هـ / ١٠١٥م)[٥].

ويتضح من إشارات المؤرخين أن المذهب الكرامى اكتسب شعبية كبيرة، فعلى حد تعبير "العتبي" مؤرخ الدولة الغزنوية فإن سوقهم قد راجت، حتى قال الشاعر "البستي":

الفقه فقه أبي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام

إن الذين أراهم لم يؤمنوا بمحمد بن كرام غير كرام[٦]

---

[١].العتبى: تاريخ اليمينى، ج٢، ص٣١١، ٣١٢.

[٢].هو"أبو سعيد فضل الله بن أبى الخير الميهنى" من أعظم الشخصيات الصوفية التى عاشت فى النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى، والنصف الأول من القرن الخامس الهجرى، ولد فى مدينة "ميهنة" بإقليم خراسان، ويعزى إليه أنه أول من أسس نظام الخانقاوات فى الإسلام، كما أنه الرائد الأول لشعراء الصوفية الإيرانيين. محمد بن المنور: أسرار التوحيد، ص٣١: ٥٠.

[٣].محمد بن المنور: المصدر نفسه، ص٩٠.

[٤].الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٢٨، ص٢٣٢. الصفدى: الوافى بالوفيات ،ج٥ ،ص١١٣:١١٢

[٥].ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١٨١: ١٨٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٧٣.

[٦].العتبى: تاريخ اليمينى، ج٢، ص٣١٠.

ولكن لم تستمر سوق الكرامية رائجة لفترة طويلة، فقد كانت نهايتهم علي يد القاضي "أبي العلاء صاعد"[١]، فقد شرح للسلطان "محمود" ما يزعمه الكراميون في حق الله سبحانه وتعالي[٢]، وقد اقتنع السلطان بما قاله القاضي عن هؤلاء، فأمر بأن، يحضر "أبو بكر محمد الكرامي" لمحاكمته فى "غزنة"، وكلف القاضي "أبا محمد عبد الله الناصحى "(ت ٤٤٧هـ /١٠٥٥م)[٣] بإستجوابه حول هذه الادعاءات التي يدعيها في مذهبه، وعندما امتثل "أبو بكر محمد" أنكر تمسكه بهذه المعتقدات متهمًا القاضي "أبي العلاء" بالإعتزال، ولكن القاضي كشف حقيقتهم، فغضب السلطان "محمود" عليهم وأصدر أمرًا بإلقاء بعضهم فى السجون ومصادرة أموالهم، وتطهير المدارس من عقائدهم[٤].

وكان من الطبيعى أن تثير آراء "ابن كرام" وأتباعه الفرق الإسلامية الأخرى، لما فيها من مخالفة ظاهرة لما أوجبه الإسلام من إعتقاد التنزيه، لذلك نجد المعتزلة يهبون لمناظرة الكرامية، وحدث بينهم مناكرات وفتن كثيرة متعددة[٥].

ومن علماء الشيعة فى "غزنة" "أبو الحسين علي بن الحسين بن عبد الله الغزنوى الواعظ"، لقب بالبرهان، سمع "بغزنة" من "حمزة بن الحسين القاييني" "صحيح

---

[١]. أبو العلاء صاعد: أصله من "الموصل"، كان عالمًا باللغة والأدب، وهو صاحب كتاب "الفصوص" (ت ٤١٧هـ /١٠٢٦م) العتبى: المصدر نفسه والجزء، ص٣١٣.

[٢]. كانت طائفة الكرامية تقول بالتجسيم، فأعطوا الله سبحانه وتعالى الصفات الجسمانية كاليد والوجه، اعتمادًا على ورود هذه الألفاظ فى القرآن الكريم، وذكروا أن الله يحاسب الناس يوم القيامة وهو في صورة "آدم"، وذلك من الآراء المخالفة لمذهب أهل السنة.(الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص١٠٩. الهجويرى: كشف المحجوب، ص٤٧٤)

[٣]. أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحى: قاضي القضاة وإمام المسلمين وشيخ الحنفية في عصره، ولي القضاء للسلطان "محمود الغزنوى" "ببخارى"، وكانت له مجالس نظر وتدريس وفتوى.العتبى: المصدر نفسه والجزء، ص٣١٥.

[٤]. العتبى: المصدر نفسه والجزء، ص٣١٤، ٣١٥.

[٥]. أبو الوفا التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص١٠٩.

البخارى" بروايته عن العيار، وسمع "ببغداد" "أبا سعد بن الطيورى" و"ابن الحسين"، وقد بنت له زوجة الخليفة "المستظهر بالله"(٤٨٧: ٥١٢هـ /١٠٩٤: ١١١٨م) رباطًا بباب الأزج .محلة ببغداد .وأوقفت عليه الأوقاف، وصار له شهرة واسعة لميل الأعاجم إليه، كان يميل للتشيع، ويدل علي ذلك محبة الأعاجم له، كما أنه لم يعظم بيت الخلافة كما ينبغي، فلما اشتهر عنه ذلك أخذت منه قرية كانت موقوفة عليه وحبس ثم أفرج عنه ومنع من الوعظ، وهو والد المسند "أبي الفتح أحمد بن علي الغزنوى" راوى "الترمذى"، توفى سنة(٥٥١هـ /١١٥٦م)، ومن شعره:

يحسدني قومي علي صنعتي لأنني في صنعتي فـــارس

سهرت في ليلي و استنعسوا هل يستوي الساهر والناعس؟![1]

أما بالنسبة لموقف "البيروني" من ذلك الصراع المذهبي، فقد حضر ذلك الصراع بين الإسلام وخصومه، وكان المعتزلة هم فرسان الحلبة في الدفاع عن الإسلام، فقد كانوا يرتابون في كل التيارات السرية والعلوم البرهانية والفلسفية التى بدأت تتسرب من الديانات الأخرى كالمانوية والبوذية، وما يزعمونه من اتحاد الله بالإنسان، وما يمارسونه من طقوس، وقد وقف المعتزلة في وجه كل ذلك من ديانات وفلسفات مختلفة، مما أثار حفيظة "البيروني" فوقف ضدهم مدافعًا عن أصحاب الديانات الأخري، لأنه يؤمن بوجود الآخرين وحقهم في الحياة[2].

أما بالنسبة للمذهب الذى كان يعتنقه "البيروني" فالمصادر تشير إلى أنه كان شيعى النشأة بحكم انتسابه إلى عائلة شيعية، وأنه لم يعبأ بذلك فتحول إلى مذهب أهل السنة، ويرى البعض أن تفضيله أحيانًا لآراء أهل السنة لا يقوم دليلًا على انصرافه عن التشيع، إذا صح أنه كان شيعى النشأة فمما لا شك فيه أنه حين كبر .خضوعًا لصفاء عقله وتحرر

---

[1].الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٨، ص٥٨: ٦١. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص١٥٩. ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٤١١.

[2].محمد عبد الحميد الحمد: حياة البيرونى، ص١٧١.

آرائه ورفضه للتعصب والتقليد أعاد النظر فى المذهب الذى ينبغى أن يقف عنده، وقد أكسبته دراساته للديانات المختلفة مناعة في هذا الشأن، فتمسك بحقائق الإسلام العميقة ورفض التأويل الهازل للقرآن، مما دفعه للهجوم على المفسرين والفقهاء الذين يجانبهم الصواب فيما يذهبون إليه [١].

وفي كتابه "الآثار الباقية " نراه ينتقد الشيعة فى مواطن مختلفة، ففى حديثه عن الإفطار لرؤية الهلال أو إكمال ثلاثين يومًا، يورد روايات عنهم يرفضها ويجرح مسلكهم في استمالة الضالين[٢]. و"هذه الأخبار كلها في كتاب الشيعة مقصورة علي الصوم، والعجب من سادتنا عترة الرسول عليه وعليهم السلام أنهم صاروا يصغون إلي ذلك ويقبلونه تأليفًا لقلوب جمهور المتوسمين بتشيعهم ولا يقتفون أثر جدهم أمير المؤمنين في إعراضه عن استمالة الضالين المعاندين بقوله ما كنت متخذًا المضلين عضدًا"[٣]. كذلك ينكر علوم الباطنية بما فيها من زيف وتمويه ينسبه الباطنيون للنبي صلى الله عليه وسلم، ويزعمون أنه من أسرار النبوة التى خص بها النبى صلى الله عليه وسلم وآله.

وينبغى أن نلاحظ أن انتقاده للشيعة لا يمكن أن ينبئ عن رفضه لمذهبهم وعزوفه عنه، فمن مميزات تفكيره رفض التعصب والنقد الموضوعى إذا لزم الأمر، أيًا كانت طبيعة الموضوع، والتصدى للكشف عن الجوانب السلبية والإيجابية فيما يتناول دون أن يندفع إلي الإنسياق أو التحامل، وهو بمنهجه هذا يرفض قداسة الموضوعات الإنسانية التى يطرقها بحجة أدلتها وسبق قائليها، فهى كلها قابلة للدفع أو التأكيد طبقًا لما يمليه المنطق[٤].

---

[١] ـ على الشابى:الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٢٩٢. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٥، ص١٩٥.

[٢] .على الشابى: المرجع نفسه والصفحة.

[٣] .البيرونى: الآثار الباقية، ص٦٧.

[٤] .على الشابى: المرجع نفسه والصفحة.

وعلينا بعد ذلك أن نلتمس دليلًا يحسم أمر مذهبه، فالذي يمكن قوله أنه إضافة إلي روحه الديني الرافض للتعصب، وقف موقفا وسطا بين المذهب الشيعى والسنى، فقد أشار فى كتابه "الجماهر" إلى أنه اعتاد أن يلبس خاتما رصع فيه القسمين المختلفين من الحجر، يحترم أحد القسمين أهل السنة والآخر يحترمه الشيعة، وهو بهذا يحدد موقفه منها لأنه لا يرضيه الاختلاف بينهما، فأصبح الشيعى السنى فى وقت واحد، وبذلك تخلص ببساطة من التحيز لأحدهما، ولا نذكر أن أحد من العلماء سواه وقف هذا الموقف ليمثل العقل الحر والارتفاع عن التعصب الذى طالما أدى إلى الجمود والانحراف[١].

[١].على الشابى:الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٢٩٣.

obeikandl.com